وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الإفريقية أحمد دراية – أدرار–

كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ
تخصص: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء
الرقم التسلسلي:

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ بعنوان:

المحاضر وأثرها في المجتمع الموريتاني

إعداد الطالبة:
مولاي شريفة

إشراف الدكتور:
بن سويسي محمد

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الله خي	الدكتور	أحمد دراية أدرار	ممتحناً
محمد بن سويسي	الدكتور	أحمد دراية أدرار	مشرفاً
محمد مرغيت	الدكتور	أحمد دراية أدرار	مناقشاً

السنة الجامعية: 1441–1442 هـ / 2019–2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المختصرات

ع: عدد

مج: مجلد

ط: طبعة

ج: جزء

تق: تقديم

تح: تحقيق

ص: صفحة

الإهداء

إلى أحلى كلمة ينطقها اللسان إلى نبع الحنان أمي الغالية

إلى كل من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار والدي العزيز رحمه الله.

إلى من تذوقت معهم أحلى لحظات حياتي إلى إخوتي.

إلى من شاركني العناء والجهد لانجاز هذه المذكرة زوجي العزيز.

إلى مشرفي الفاضل في التدريب الميداني.

إلى الذين أتمنى أن أذكرهم عندما يذكروني وأتمنى أن تبقى صورهم في عيوني الأصدقاء والزملاء.

إلى جميع أفراد الأسرة التربوية في الجزائر الحرة الأبية.

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائله.

شريفة

شكر وعرفان

في البداية الشكر والحمد لله، جل في علاه، إليه ينسب الفضل كله في الإكمال والكمال يبقى لله وحده.

وبعد الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أتوجه بالشكر إلى الأستاذ الدكتور المشرف على كل ما قدمه لي من توجيهات بناءة وأتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة كلاً باسمه

وبعد فالشكر موصول لكل أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم في كل مراحل دراستي حتى أتشرف بالوقوف أمامكم اليوم

شريفة

مقدمة

مقدمة:

تعد التربية الوسيلة الأساسية في تكوين الفرد والمجتمع وهذا نتي جة للمخلفات الإيجابية التي تطبعها على كل فرد داخل المجتمع فيصبح المجتمع صالحا بصلاح أفراده. حيث تعد موريتانيا من المراكز الأساسية التي تدفقت منها جميع العلوم الدينية والدنيوية، حيث أمتازت موريتانيا بنظام تعليمي فريد يعرف بالمحاضر.

وقد عرفت موريتانيا عبر العصور بعلمائها الذين تلقوا تعليمهم عبر النظام التعليمي المحضري، وأن المحضرة أهم مفخرة للشناقطة، فهي معجزتهم التي أبهروا بها العالم أجمع، ونافسوا بها نظرائهم من أمم الشرق والغرب، ولهذا كان للمحضرة أثار على المجتمع الموريتاني من خلال ما تميزت به من التعليم المحضري من عمق ومرونة والقدرة على التكيف مع جميع الظروف الاقتصادية والطبيعية فهو يزدهر في المدن والبوادي، وينمو في الأوساط الفقيرة والغنية، كما تميزت المحضرة على أنها مدرسة للحياة، أي أن لها منهجاً مفتوحاً على المعارف والمهارات التي يحتاجها المجتمع.

وبناءا على ما سبق قد اخترت أن يكون بحثي حول المحاضر والمجتمع تحت عنوان المحاضر وأثارها على المجتمع الموريتاني.

دوافع اختيار الموضوع: إن اختياري لهذا الموضوع جاء نتيجة دوافع ذاتية وأخرى موضوعية وبالنسبة لدوافع الذاتية فتشتمل بصفة عامة :

- الدور الذي لعبه التعليم المحضري في تكوين ملامح المجتمع الموريتاني.
- الرغبة في تسليط الضوء على التعليم الموريتاني بصفة عامة والنظام المحضري بصفة خاصة.
- معرفة سر محافظة المجتمع الموريتاني على التعليم المحضري واستمراره.

أما الرغبة الذاتية في دراسة التاريخ الموريتاني الذي لا يزال من الجوانب المظلمة في تاريخ الدول العربية وإزالة الغموض عنه، كذا توضيح الظروف التي كان يمارس فيها التعليم المحضري في موريتانيا.

إشكالية البحث

تتناول إشكالية البحث المنظومة التعليمية القديمة في موريتانيا وأثارها على المجتمع الموريتاني، وتتفرع من إشكالية البحث تساؤلات فرعية متمثلة في:

- فيما تكمل أثار التعليم المحضري في تكوين المجتمع الموريتاني
- كيف كانت العلاقات الاجتماعية داخل المحضرة؟
- ما هي الضوابط التي قامت عليها المحضرة؟
- كيف كانت علاقة المجتمع الموريتاني بالعلم.
- بماذا تميزت المحضرة عن غيرها من المؤسسات التعليمية؟ وما الذي دفع بها للانفراد في نتائجها
- ما هي المراحل التي مرت بها المحضرة أثناء تشكلها؟
- ما هو الأسلوب الدراسي المعتمد في المحضرة؟

منهجية البحث : اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع ومحاولتي للإجابة عن التساؤلات الفرعية التي تمخضت عن اشكاليته على المنهج التاريخي الوصفي : وذلك من خلال سرد الأحداث بطريقة كرونولوجية بغية دراسة الوقائع التاريخية بتسلسل ووصفها.

المصادر والمراجع: اعتمدت في بحثي هذا على جملة من المصادر والمراجع التاريخية التي تمد الصلة با لموضوع المدروس والتي تخدمه بشكل كبير، كما اعتمدت على مجموعة من المقالات ومجلات وبعض الأطروحات الجامعية التي تصب في نفس الموضوع.

ومن بين أهم هذه المصادر والمراجع المعتمد وهي:

- كتاب الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط – عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي من خلال الجامعات البدوية والمنتقلة (المحاضر)، الذي كان ملما بكل الجوانب التاريخية لموريتانيا خاصة الجانب الثقافي للمحضرة الموريتانية التي كان لها أثار كبيرة على المجتمع الموريتاني.
- كتاب مسعد حسين محمد، وقفات على بلاد شنقيط، والذي قام فيه الكاتب بتغطية عامة حول المحاضر الشنقيطية.

- كتاب الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين، السلفية وأعلامها في موريتانيا "شنقيط"، عرض لتاريخ السلفية والأشعرية وماله علاقة بذلك من الحركة العلمية والجهادية من دخول الإسلام إلى القطر سنة 63 إلى سنة 1413 هـ.
- ومن المقالات مقال محمدن أمين محمدو، المحاضر الموريتانية: مؤسسات لنقل المعارف والتي تحدث فيها الكاتب عن المحاضر بشكل دقيق وشامل.
- ومن المجلات حسنة الغامدي –طارق العجال مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية.

ومن أهم الرسائل الجامعية التي اعتمدت عليها:

- علي سالمان علي بدوي، الطرق القادرية والاستعمارية الفرنسي في موريتانيا (1903-1960)، مذكرة ماجستير في الدراسات الإفريقية.

خطة الدراسة: لتغطية الموضوع بشكل شامل والإجابة عن الإشكالية العامة للموضوع تم ضبطه بخطة قوامها مقدمة، ثلاث فصول، خاتمة، ملاحق، القائمة البيبليوغرافيا وفهارس.

خصص الفصل الأول للتعريف بموريتانيا من خلال أصل التسمية والتحديد الجغرافي والفلكي وإعطاء لمحة عن المجتمع الموريتاني من خلال تاريخ المجتمع وتركيبته البشرية ونظرة الشناقطة للعلم.

أما فيما يخص الفصل الثاني فقد تم التطرق فيه إلى التعريف بالمحضرة من خلال التسمية والأنواع والخصائص التي امتازت بها، كما تم التعرف فيه على النظام الذي تعمل عليه المحضرة والمقررات الدراسية والنظام الاجتماعي فيها والذي يكمن في علاقة الطلبة بالشيوخ والطلبة فيما بينهم.

والفصل الثالث تناولت مخلفات المحاضر على المجتمع الموريتاني والتي تم عرضها على شكل أثار ثقافية والمتمثلة في تكوين الفرد وأثار عامة والتي تمثلت في نشر الإسلام واللغة العربية.

الصعوبات: مع العلم أنه لا يخلو أي بحث أكاديمي من الصعوبات فقد واجهتني في بحثي هذا من الصعوبات والمتمثل فيما يلي:

- قلة المصادر العربية التي تتناول هذا الموضوع وإذا وجدت المصادر فهي أجنبية مما يصعب أخذ المعلومة منها واستيعاب مضمونها.
- قلة المادة العلمية الموثوقة، فأن وجدت فهي عبارة عن مراجع منقولة عن مصادر أجنبية.
- ندرة المصادر والمراجع والدراسات السابقة التي تتناوله في شكل جزئية صغيرة جداً.

الفـصــل الأول

جغرافية موريتانيا وسياق تشكلها التاريخي

الفصل الأول: جغرافية موريتانيا وسياق تشكلها التاريخي:

يعود ظهور موريتانيا وقبائلها على مسرح الأحداث في شمال وغرب إفريقيا إلى ظهور وامتداد دولة المرابطين التي نجحت في توحيد قبائل المنطقة المتناحرة، وكان اختفاء دولة المرابطين سنة 1147م له أثره السياسي حيث ترك فراغا سياسيا ودينيا لم يستطع الموحدون الذين جاؤوا من بعدهم ملئه نظراً لتركيزهم على دول الشمال كالجزائر والمغرب والأندلس وفي غياب القوة السياسية الموحدة، وبداية إندثار النظام التعليمي القوي الذي بناه المرابطون بدأت بعض القبائل الموريتانية في محاولة سد الفراغ السياسي والفكري في شنقيط والتي عرفت في أدبيات ما بعد المرابطين بالسائبة وهو ما تولته قبائل بن حسان* وقبائل الزوايا** اللتين شكلتا القيادة المزدوجة للمجتمع الشنقيطي.

المبحث الأول: الخصائص الجغرافية والتضاريسية

المطلب الأول: أصل التسمية

موريتانيا هي تسمية أوروبية أجنبية قال بعض العلماء المؤرخين أنها مؤلفة من كلمتين (مور) و (تانيا) فالمور هم سكان شمال إفريقيا ومنهم المسلمون الذين فتحوا الاندلس و (تانيا) معناه الخيام[1]، وعرفت بلاد الشنقيط بأسماء متعددة تحيل على حقب وعهود تاريخية مختلفة وتقع على مناطق غير

* بطن من عرب المعقل من ذرية جعفر بن أبي طالب، كانوا يعرفون في صعيد مصر بالجعافرة، ذهب ابن خلدون إلى أن أصلهم من معقل الحارث بن كعب من عرب اليمانية. ينظر حماه الله ولد السالم:تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا) ،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،2010 ،ص426.

** يطلق هذا الاسم على الفئة المتعلمة المسيرة للغيب وهذه الفئة هي المنتجة للثقافة العالمية ويبدوا فيها الفرد الدراسة من صغره كما انهم مساهمون فاعلون في التحكم في وسائل الإنتاج فهم القائمون على حفر الآبار والتجارة ويملكون انعاما كثيرة وينقسمون إلى طبقات كالزوايا والطلبة فالزوايا تميل إلى المعرفة وتحتل مكانة خلقية رفعية في حين يعبر الطلبة عن تدني المستوى الخلقي والمعرفي. ينظر علي بدوي علي سالمان :الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960)،مذكرة مجستير في الدراسات الافريقية ،قسم التاريخ (التاريخ الحديث والمعاصر)،جامعة القاهرة، مصر، 2003،ص14.

[1] محمد بن ناصر العبودي: إطلالة على موريتانيا، ط1، دار الثلوثية للنشر والتوزيع: الرياض، 1997، ص 18.

متطابقة ولعل أشهر هذه الأسماء صحراء الملثمين* – بلاد التكرور** – بلاد شنقيط، موريتانيا[1].

تراب البيضان:

يعرف العرب الشناقطة في اللهجة الحسانية ب " البيضان ***"[2] وهم أحفاد الزناكة**** الذين أسسوا مملكة المرابطين الكبرى في القرن الحادي عشر ، وهم مزيج من القبائل العربية أصلا، والبربر المستعربين وأشهر قبائلهم الترارزة *****، البراكنة ، حسان [3]، وبهذا الاسم عنون محمد يوسف مقلد

* تسمية أطلقها مؤلفو كتب المسالك والمؤرخون العرب في القرون الوسطى على سكان الصحراء الفاصلة بين الشمال الإفريقي وبلاد السودان، وإن كانت القبائل الصنهاجية في غرب الصحراء قد اشتهرت بتلك التسمية أكثر من غيرها حتى اختصت بها في معظم الكتابات العربية الوسيطة، وإن اللثام عادة من عادات صنهاجة الصحراء. ينظر الناني بن الحسين:صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب افريقيا من منتصف القرن 2هـ/8م الى نهاية القرن 5هـ/11م، أطروحة دكتوراه في التاريخ ،تق:الدكتور محمد حجي،جامعة محمد الخامس،الرباط، 1999،ص9.

** اسم تطلقه تواريخ ولاته وتواريخ تنبكتو على البلاد الشنقيطية. ينظر المختار بن حامد:حياة موريتانيا حوادث السنين اربع قرون من تاريخ موريتانيا وجوارها ،تق وتح الدكتور سيديا احمد سالم،ص496.

[1] الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط –عرض للحياة العلمية الشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلو، تونس، 1987، ص18.

*** وهي إشارة إلى السكان البيض من ذوي البشرة الفاتحة من شعوب الصحراء الكبرى ويوجد في نقطه الفصيح (البيضان) في أدبيات الجغرافيين العرب إشارة إلى قبائل صنهاجة، منذ القرن الخامس الهجري على الأقل (البكري يذكر مصطلح البيضان إشارة إلى سكان الصحراء من صنهاجة القاطنين حول مدينة "أوداغست") لكن المصطلح سار من القرن 17 م علما على المجموعات الصحراوية التي تتحدث اللهجة الحسانية وغير الحسانية وتعود أصولها لإندماج الكتلة الصنهاجية والمجموعات العربية والحسانية وغير الحسانية. ينظر الشيخ موسى كمرا: تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، تح: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2009، ص 73.

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص24.

**** الظاهر أنها تصحيف لكلمة صنهاجة القبيلة المشهورة والتي تفرع منها الكثير من القبائل الموريتانية. وقد أخذ لفظ آزناكة في اللهجة الحسانية مداولاً اجتماعياً قيمياً، فصارت تطلق على القبائل الغارمة سواء أكانت من أصل صنهاجي أم من أصل حساني. ومع أن الحوليات الموريتانية تطلق لفظ آزناكة على قبيلة إدوعيش، فمن المستبعد أن يكون المقصود بها المعنى السلبي فإدوعيش لا يمكن وصفهم إطلاقا بأنهم غارمون، ومن يعد إلى نصوص التواريخ الموريتانية يلاحظ بسهولة أن إطلاق لفظ آزناكة على إدوعيش لا يعنى القدح أو الذم. بل إن النصوص لا ترى فرقاً بين لفظ آزناكة ولفظ العرب. ينظر المختار بن حامد :حياة موريتانيا حوادث السنين ،المصدر السابق،ص154.

***** ذرية تروز بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر الجد الجامع لعرب المغافرة الحسانيين. ينظرحماه الله ولد السالم،المرجع السابق، ص429.

[3] محمد يوسف مقلد: موريتانيا الحديثة (غابرها- حاضرها) أو العرب البيض في إفريقيا السوداء، دار الكتاب اللبناني، 1960، ص45.

كتابه "موريتانيا أو العرب البيضان في إفريقيا السوداء " وكما أطلق المستطلعون الاستعماريون على المنطقة هذا الاسم "تراب البيضان" التي وردت في تقارير كابولاني Coppolani *[1].

1 – بلاد شنقيط:

موريتانيا كانت تعرف قبل استقلالها ببلاد شنقيط وكان أهل المشرق العربي يعرفون أهلها بأنهم الشناقطة جمع شنقيطي المنسوب إلى شنقيط [2]، وكانت شنقيط علماً لهذه البلاد عند أهل الأمصار على حد قول سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم ** وما عرف هذا الاسم إلا بعد بروز مدينة شنقيط كعاصمة للعلم ومنطقة للحجيج وقد كان ذلك بعد تأسيسها بقرون، وخصوصاً مع بداية الألف الهجرية الثانية وقد استخدم أحمد بن الأمين *** (1331 هـ/1993 م) الاسم في كتابه "الوسيط في تراجم أدباء الشنقيط"، وقال" أن الكلمة تكتب بالقاف والجيم" وإنما كانت تكتب في العصور الأولى بالجيم فقط[3].

---

* (1866-1905) قائد ومستكشف فرنسي تعلم العربية وتعرف على الإسلام بالجزائر حيث نشأ، ثم تكليفه سنة 1899 بأول مهمة له في بلاد البيضان تمثلت في القيام بدراستهم من وجهة النظر السياسية والدينية، وبعدها أصبح المفوض العام للحكومة الفرنسية، ويقال أنه من سمى موريتانيا بهذا الاسم، تم اغتياله في عام 1905 من طرف سيدي ولد مولاي الزين، أنظر في الحسين بن محنض :تاريخ موريتانيا الحديث(من دولة الامام ناصر الدين الى مقدم الاستعمار 1055هـ/1322هـ-1645م/1905م)،ط1، دار الفكر ،انواكشوط،2010م، ص 272.

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص24.

[2] محمد ناصر العبودي: المرجع السابق، ص17.

** يجتمع مع الذين تقدموا عليه في يحي، علامة تحرير، طار ذكره وانتشر، واشتهر علمه في الآفاق وأبذعر، ما عاصره مثله علماً وفهماً مكث أربعين سنة يرتاد لطلب العلم لم يشبع منه يأخذ عن من وجد عنده زيادة، حتى انتهى إلى الغاية القصوى، جمع أولا ما في الصحراء، ثم أقام بفاس مدة كثيرة للنظر والتحرير وتلقى على البناني محشى عبد الباقي، وتلقى البناني عنه أيضاً، فحج ولقى من يشار إليه من علماء مصر، وذاكرهم أيضاً وأفادهم وأستفاد منهم، وبلغ خبره أمير مصر، ولعله محمد علي باشا فأكرمه. ومن جملة ما أتحفه به، فرس من عتاق خيل مصر المعروفات بالكحيلات، فسئل عنها فقال: جعلتها حطابا (اسم كتاب في فقه المالكية).ينظر احمد بن الأمين الشنقيطي : الوسيط في تراجم ادباء شنقيط،ط4،القاهرة ،1989،ص37-38.

*** (1280 هـ/1864 م – 1913/1331) سفير من سفراء بلاد شنقيط في مراكز العلم بالشرق. تضلع من معارف المحضرة في بلاده وسافر للحج وزار عدة بلدان واستقر بمصر وترك عدة مؤلفات من أبرزها " الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" الممنا في متن الكتاب بمزيد من المعلومات عنه. ينظرالخليل النحوي ،المرجع السابق ،ص503.

[3] الخليل النحوي: المرجع نفسه، ص20.

2 – **بلاد التكرور**:لقد اختلف المؤرخون في تحديد موقع هذه المنطقة التي تعرف باسم التكرور بين حوض نهر السنغال* ونهر النيجر** ومنطقة ولاتة***، إلا أن البعض يرى أنها إقليم واسع ممتد شرقا إلى مالي وغربا إلى نهر السنغال وجنوبا إلى أعالي نهر السنغال أو النيجر وشمالا إلى آدرار****[1].

3 – **بلاد المغافرة**: لم تشتهر البلاد بهذا الاسم وإنما نعتها بعض مؤلفيها وتشير هذه التسمية إلى عهد تاريخي متأخر، فالمغافرة***** بطون من بني حسان نزحت إلى بلاد شنقيط (موريتانيا) ضمن الموجات العربية التي دخلت البلاد بين القرنين 7 و9 للهجرة[2].

4 – **بلاد الملثمين**: كان الصنهاجيون****** المقيمون بالصحراء أهل لثام في قديم عهودها ولذلك غلب عليهم اسم "الملثمين" ونسبت إليهم الأرض فسميت "صحراء الملثمين "، وقد نعتهم الشاعر أبو محمد بن حامد الكاتب وعين المقصود بالملثمين فن م ى لمتونة وهي صنهاجية إلى حمير حيث قال:

---

* عرف بنهر الزنافية ونهر صنهاجة حتى مجيء الاستعمار الأوروبي وهو نهر يجري في أقصى غرب القارة الإفريقية، يمتد حوض النهر الذي ينبع من هضبة فوتا جالو في غينيا عبر أربعة دول أفريقيا وهي على الترتيب: غينيا، مالي، السنغال وموريتانيا ثم يصب بالغرب من مدينة سانت لويس في المحيط الأطلسي، طوله حوالي 1790 كلم، وبلغ مساحة حوضه 340 كلم^2، ويبلغ تدفقه المائي سنويا 24 م^3، أما عرضه فيتراوح من 10 كلم إلى 25 كلم. ينظرعفاف عباس :الاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903-1960)،مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر،اشراف شهرزاد شلبي ، قسم التاريخ ،جامعة محمد خيضر،بسكرة، 2015،ص10.

** يعرف عند العرب قديما بنيل السودان، وهو مأخوذ من أصل أوروبي Niger وتعني أسود وهو النهر الرئيسي في غرب إفريقيا، طوله 4180 كلم، يصب في دلتا النيجر بخليج غينيا على المحيط الأطلسي. ينظر عفاف عباس،المرجع نفسه،ص10.

*** مدينة موريتانية، كانت تسمى قديما بيرو، تقع على بعد 1200 كلم شرق نواكشوط. أنظر الخليل النحوي: المرجع السابق، ص33.

**** هي احد ولايات شمال مرويتانيا ، وقد سميت على اسم هضبة ادرار، عاصمتها هي اطار، وتشمل الولاية مدن رئيسية أخرى مثل شوم وشنقيط ووادان،وتبعد عن انواكشوط0 48.ينظر ولايةأدرار(موريتانيا)https://ar.m.wikipedia.orj/wiki/

[1] عفاف عباس: المرجع السابق ص10.

***** ذرية مغفر بن أودي بن حشان. فروعهم: أولاد الناصر، الترارزة، البراكنة، الخواوات، أولاد امبارك، أولاد داود أمحمد، أولاد يحي بن عثمان، الطرشان، الرميثات (ومن فروعهم: أهل دداش، الرحاحلة ولبيدات)، أولاد اعروك، أولاد داود بن عمران أولاد اخليفة بن مغفر.ينظرحماه الله ولد السالم :المرجع السابق،ص414.

[2] أحمد بن الأمين الشنقيطي: المصدر السابق، ص 358.

****** نسبة إلى صنهاجة، تعريب للفظ الأمازيغي: إزناكي وهم مع مصمودة: إمصوذن، زناتة: إزناتن، وهؤلاء هم المجموعات القبلية الكبرى في المغرب العربي، وإزناكن تعني خيام القوم الذين يقومون بالغارات، يمارس هذا النشاط عند رحل الصحراء. أنظر الشيخ موسى كمرا: المصدر السابق، ص22.

قوم لهم شرف العلى من حمير **** وإذ انتموا لمتونة فهم هم

رما حووا احراز كل فضيلـــة **** غلب الحياء عليهم فتلثموا

وما انتسبت بلاد الشنقيط إلى هؤلاء الملثمين إلا لأنهم كانوا في قرون الإسلام الأولى سكانها الغالبين عددا أو نفوذا فكانت قبائل صنهاجة الثلاث: لمتونة ومسوفة وكداله تنتشر في أركان البلاد وفيها أقاموا دولة أنجبت بعد قرنين وزيادة دولة المرابطين[1].

المطلب الثاني: التحديد الجغرافي والفلكي لموريتانيا

جغرافيا:

كانت في الفترة القديمة تغطي موريتانيا المنطقة التي تشغلها المغرب حالياً والجزء الغربي من الجزائر موزعة إلى قسمين موريتانيا الطنجية وموريتانيا القيصرية ثم اتسع مدلول الكلمة ليشمل مجموع سكان شمال غرب القارة الإفريقية[2].

يحد موريتانيا من الشمال الغربي الصحراء الغربية ومن الشمال والشمال الشرقي الجزائر ومن الشرق جمهورية مالي ومن الجنوب مالي والسنغال أما من الغرب إضافة إلى حدودها مع الصحراء الغربية تطل موريتانيا على المحيط الأطلسي بجبهة يبلغ طولها حوالي 600 كلم.[3]

فموريتانيا من صميم الصحراء الإفريقية الكبرى وليست أرضها كلها صحراء كما يتوهم البعض بل أن فيها عدة غابات مهولة، وكانت قديماً منطلقاً للتجارة إلى بلاد المغرب العربي والشام، ومصر وإفريقيا[4].

عاصمة موريتانيا:

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص18- 19.

[2] الخليل النحوي: المرجع نفسه، ص25.

[3] الفوزان بن عبد الرحمان الفوزان: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مج 11، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1999، ص530.

[4] محمد يوسف مقليد: المرجع السابق، ص41.

نواكشط*، ومن أهم حواضرها: أطار، نواديبو، بوليميت، كيفة، العيون وتجيكجة[1]، ويعد الجزء الجنوبي والأوسط من البلاد الواقع جنوب دائرة العرض °15 و °21 شمالا على شكل مستطيل يمتد من الغرب إلى الشرق ويبلغ امتداد له بين نواكشط وولاته حوالي 1200 كلم، أما الجزء المتبقي فهو عبارة عن مربع غير منتظم تشكل الحدود الهندسية المستقيمة أبرز ملامحه[2]، وفي أقصى الشمال الغربي لموريتانيا مدينة الساقية الحمراء** التي أسست سنة 1883 للميلاد، وفي الوسط إلى الغرب إقليم آدرار، وهي جبال شامخة متصلة أشبه بهضبة كبيرة يسير الراكب فيها ستة أيام طولاً وخمسة أيام عرضا[3].

فلكيا:

تمتد موريتانيا فلكيا بين دائرتي عرض °15 و °27 شمالاً وخطي طول °5 و °17 غرباً بمساحة شاسعة تقدر ب 1.030.700 كلم^2.[4]

* اختلف في معنى اسمها على أقوال وأن اتفق العارفون على أنه أعجمي ليس بينه وبين العروبة سبب مثله في ذلك مثل اسم الدولة (موريتانيا)، وإن كانت العجمة في الاسمين مختلفة فاسم العاصمة بربري واسم الدولة روماني الأصل مستوحى من الرومانية، وأعدل الأقوال وأقربها إلى الصواب أنه كان بئراً اسمه بمعنى (ذي كشوط) فنوا أو (ن) بالبربرية معناها: صاحب أو ذو، و (كشوط). ينظرمحمد بن ناصر العبودي ،المرجع السابق،ص75.

[1] قاسم الزهيري: مذكرات دبلوماسي عن العلاقات المغربية الموريتانية، تق: التارزي عبد الهادي، الهلال العربي للطباعة والنشر، الرباط، 1991، ص35- 36.

[2] عفاف عباس: المرجع السابق، ص13- 14.

** هي أرض مشهورة، وهي آخر شنقيط من جهة وادنون، تبعد عن شنقيط عشرين يوماً بالسير الحثيث، وتقدمت أبيات ابن الشيخ سيدى، التي صرح فيها، أن مسافتها شهر بسير الإبل، من الصباح إلى المساء، وبذلك يتضح ما قلت، لأن أرضه تبعد عن شنقيط بنحو عشرة أيام، وكانت الساقية الحمراء لا أنيس بها لشدة الخوف، ولقحولتها دائما، حتى عمرها الشيخ ماء العينين، وبني فيها الدور، وغرس النخل فسهلت المواصلة بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية، أعني التابعة للمخزن، وهي في الأصل للركيبات، قبيلة أصلهم من الزوايا، إلا أنهم يملون السلاح في أكثر أوقاتهم، والعلم فيهم قليل. ينظر احمد بن الأمين الشنقيطي،المصدر السابق،ص438-439.

[3] شوقي الضيف: تاريخ الآدب العربي (عصر الدول والأمارات، الجزائر –المغرب الأقصى –موريتانيا –السودان)، ج 10، ط1، دار العارف، القاهرة، ص 543-544.

[4] حبيبة ميلود –كريمة مقدم: السياسة التعليمية الفرنسية في موريتانيا 1903-1960، مذكرة ماستر قسم التاريخ (تاريخ المغرب العربي المعاصر جامعة أحمد دراية أدرار، 2019، ص7.

المطلب الثالث: خصائص المناخ والتضاريس

المناخ:

موريتانيا بمساحتها الواسعة أرض صحراوية لا تعرف الأمطار إلا نادراً وبالتالي فمناخها صحراوي حار وجاف بشكل دائم مع نسيم متواصل على السواحل في العاصمة، تتراوح درجة الحرارة بين °28 و °43، أما مصدر المياه الوحيد فيها نهر السنغال في جنوب البلاد وفي الوسط سهول رملية وأشجار هزيلة[1]، وبالتالي هي بلاد منخفضة كثيرة الهضاب والسهول والكثبان الرملية [2]، وتسقط الأمطار فيها بصفة غير منتظمة ففي الجنوب تهطل الأمطار صيفاً حيث الأمطار الموسمية، وأما في الشمال فهي قليلة، وتسقط شتاءً لذلك كانت المنطقة الجنوبية في الصحراء أكثر إزدهاراً من المنطقة الشمالية وتغطيها مساحات شاسعة من الرمال وتنتشر الأعشاب في أماكن متفرقة منها[3].

وتتناثر على رقعتها مناطق جبلية أشبه بهضاب متسعة، وتلتقي فيها من حين إلى حين بآبار وواحات صغيرة، وقد نمضي مائة كليومتر دون أن نعثر على بئر أو ماء، مما يجعل القوافل المارة بها في حاجة إلى دليل يقودها لاسيما على الطرق التجارية الذاهبة إلى السودان والآتية منه، وسطحها رمال سائلة وكثبان متنقلة، تنقلها الرياح والعواصف الشديدة من مكان إلى مكان وطمرت على مر العصور كثير من القرى والبلدان، والجو وخاصة في الصيف شديد الحرارة ويعتد ل في المناطق الجبلية وعلى ساحل المحيط، وتهب بها صيفاً ريح حارة والمحملة بالرمال. وقد تصبح الصحراء جافة جداً وقاحلة جداً لأن الأمطار بها قليلة حتى لتنعدم في بعض الأنحاء كالمنطقة الجنوبية الشرقية بين آبار أروان * وآبار أزواد** وهما في رمال كالحة لا نبات فيها ولا زرع ولا ضرع[4].

---

[1] عفاف عباس: المرجع السابق، ص14.

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 17.

[3] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص25.

* قرية مشهورة، بينها وبين تينبكتو عشرة أيام، واقعة في رمال ولا نبات بها، وليس بها شجر ولا زرع ولا نخل، ودورها مبنية من الطين فقط.ينظر احمد بن الأمين الشنقيطي :المصدر السابف، ص458.

** "بزاي مفخمة بين الظاء والزاي" وهي أرض كبيرة بعد أروان. وفيها كثير من قبيلة كنت، وكانت بها إقامة العالم الصالح الشيخ سيدي المختار المتقدم، ولم تزل بها أولاده، أعني أولاد أولاده. ومن أشهرهم باي. وهو عالم صالح مشهور. ينظر احمد بن الأمين الشنقيطي،المصدر نفسه،ص458.

[4] شوقي الضيف: المرجع السابق، ص543.

وتنقسم موريتانيا طبيعيا إلى منطقتين:

1 – منطقة سهلية زراعية (في الجنوب):

تمتاز هذه المنطقة بسقوط كميات من الأمطار الموسمية تتوفر فيها المراعي الكافية ويقوم فيها نشاط زراعي هام ولذلك يتركز فيها معظم السكان.

2 – منطقة صحراوية جبلية (في الشمال)

وتقع فيها بعض الواحات الهامة ويزرع فيها النخيل والحبوب ، وفي الأخير نستنتج أنه للعوامل المناخية والفلكية الناتجة عن الموقع الاستراتيجي للمنطقة دور في توزيع السكان في موريتانيا، وهذا ما ألقى بنا إلى دراسة الجانب الاجتماعي للمنطقة[1].

المبحث الثاني: السياق التاريخي لتشكل المجتمع الموريتاني

المطلب الأول: تاريخ المجتمع الموريتاني

كانت شنقيط في الحيز المكاني الذي يهمنا مسرحاً لهجرات عديدة من فئات شتى ولعل أبرز هذه الهجرات وأعظمها دوراً سياسياً هجرة بني حسان من بني معقل في القرن الثامن الهجري ، لقد لفتت هذه الهجرة الأنظار لأنها كانت نزوحا جماعيا لموجات بشرية ذات شوكة تركت آثارها حيث مرت واستوطنت الصحراء فحكمتها لأول عهدها بها ، وقد تلقت البلاد هجرات أخرى من قبائل زوايا تحمل العلم ويحيط بهذه الهجرة العلمية أو الهجرات المتناثرة عبر القرون غموض واضطراب أما الهجرة الأوضح معالمها وآثارها فهجرة بني حسان التي كتب عنها ابن خلدون وغيره من المؤرخين لقد كانت القبائل الحسانية المهاجرة قبائل محاربة تجيد حمل السلاح والمبارزة[2].

[1] الطالبي مبروكة –مولاي شهرزاد: جوانب من الحياة الاجتماعية في موريتانيا خلال الفترة الاستعمارية من 1903-1960، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، إشراف د.بوسعيد أحمد، قسم العلوم الإنسانية، شعبة تاريخ، جامعة أحمد دراية أدرار، 2018-2019، ص12.

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص98-99.

وصلت في بحر القرن الثامن للهجرة (14 الميلادي)قبائل عرب المعقل إلى مشارف بلاد شنقيط وبدأت أفواج وحملات بن حسان المقل ين تتوغل في البلاد مؤدية بدورها إلى مزيد من السيبة التي وصلت إلى أوجها باندلا ع الحرب الصنهاجية الحسانية الكبرى المعروفة بحرب شربيه * (الأولى بين 870هـ و875هـ) (1465م و1470م).

وبعد انتهاء الحرب الصنهاجية الحسانية الكبرى في أوائل القرن العاشر الهجري (16 الميلادي) استطاع الحسانيون تكريس نفوذهم وهيمنتهم وأن لم يفلحوا في القضاء النهائي على العصبية الصنهاجية، التي تمكنت بعض قبائلها من أن تبني لنفسها استقراطيات قبلية محاربة مكافئة للأستقراطيات الحسانية الوافدة ، وانته هذا العصر إلى نشوب أمة مندمجة (صنهاجية وبني حسان) ذات طبيعة ولغة واحدة وعادات واحدة تدعى البيضان، وتدعى بلادهما بلاد البيضان، وكما تقاسم البيضان نفس الهوية، تقاسموا نفس التراتبية الوظيفية الاجتماعية فوجد في كل من القسمين الصنهاجي والحساني زوايا وعرب ولحمة[1].

يبلغ عدد سكان موريتانيا قرابة ميلوني نسمة وهذا عدد قليل بالنسبة إلى مساحة البلاد الشاسعة ونلاحظ أن نسبة الزيادة المطردة في عدد الموريتانيين السود في أكثر من نسبة تزايد السكان البيض مما سيعدل بلا شك من النسبة المعروفة التي تقول أن عدد السكان البيض هو 75 % وعدد السود 25 % ذلك بأن الإخوة السود يتزوج الرجل الواحد منهم في العادة أكثر من زوجة واحدة ويكون له أولاد أكثر من أولاد الرجل الأبيض الذي يقتصر على زوجة واحدة[2].

والحقيقة أنه من الصعب جداً في الظروف الحالية التأكد من عدد سكان هذا الإقليم وكمثال لذلك فيما يتعلق بالإحصاءات فإن السكان كانوا يمتنعون عن تسجيل أطفالهم بلا ي نكرون وجود

* مصطلح الحرب عند البيضان يعني بالشر، وهي حرب دينية تمثلت في أن أحد من اللحمة اسمه "ببه" منع الزكاة غأراد الزوايا أخذها منه بالقوة فدافع عنه حسان وصاروا يدا واحدة وقالوا أنه لا يعطيها إلا عن طيب نفس، أما الزوايا فأن بعض قبائلهم حارب بأجمعه كقبائل "تشمشه" و "اجيجبه" وبعضها الآخر منهم دخل منهم من دخل اعتزل هذه الحرب كإدعول وإدبلحسن فإدوعل وانتهت هذه الحرب بهزيمة الزوايا في الموقعة الشهيرة باسم "تنيفظاظ". أنظر أحمد بن الأمين الشنقيطي: ا لم صدر السابق، ص 469.

[1] الحسين بن محنض: المرجع السابق، ص 8-9-10.

[2] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 21-22.

أطفال لديهم في كثير من الحالات، وذلك خوفاً من إجبار هؤلاء الأطفال على الذهاب إلى المدارس التي ينشئها الفرنسيون، والتي تتنافى برامجها وأهدافها مع غايات وأهداف الشعب في أقليم شنقيط[1].

فهذه البلاد رغم أنها في مجملها صحراء قاحلة، قاسية المناخ لم تكن بمعزل عن الشعوب الأخرى، وذلك نتيجة لموقعها الجغرافي الذي يسر للجماعات المختلفة على مدى التاريخ اختيارها سواء للتجارة أو لنشر العقيدة الإسلامية، الأمر الذي أثر على تكوين السكان من الناحية العرقية والحضارية[2].

المطلب الثاني: تركيبة المجتمع الموريتاني

كانت تعيش في شنقيط منذ القدم مجموعات بشرية مختلفة، بيضاء وسوداء منها القبائل الزنجية والقبائل الصنهاجية وقبائل بافور ذات الأصول البربرية ولعل أبرز الأحداث التي ساهمت في تكوين ملامح المجتمع الشنقيطي هي دخول الإسلام ونزوح القبائل العربية للبلاد.

وينقسم بعد ذلك المجتمع إلى ثلاث فئات:[3]

1) فئة الزوايا (الطلبة):

تطلق كلمة "الزوايا" اصطلاحا على مجموع القبائل المهتمة بالعلم ونشره في بلاد شنقيط فهم "حملة العلم والدين في هذه البلاد قاطبة قديماً وحديثاً، لا ينازعهم في ذلك طائفة من طوائفها ولا تقاربهم"، ولا تتميز هذه القبائل بانتساب عرقي أو سلالي خاص يجمعها، بل أن المرجع في تحديد مفهوم الزوايا إلى سلم القيم الاجتماعية والوظيفية كما هو الشأن في "العرب" فكل قبيلة أو مجموعة بشرية تعني بالعلم تعلماً وتعليماً، وتتسم بالتدين هي فئة من "الزوايا" ، وحصر محمد بن بيه قواعد "التزاويت" (الانتساب إلى الزوايا) في أربعة أركان قال:

ركن "التزاويت" بدال علما *** مير، قهرى، تعلم حفر لما

وكل من سقط بعض الأربع *** منهم إذا تظلعه أن تظلع

[1] الحسين بن المحنض: المرجع السابق، ص277.

[2] الطيب بن عمر بن الحسين: السلفية وأعلامها في موريتانيا –شنقيط–، دار بن حزم، بيروت، ط1، 1995، ص 77.

[3] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 28-29.

وكل من تتم فيه الأربـع *** فهو على المنهج القويم يربع[1]

تتولى الزوايا وظائف الإمامة، والقضاء، والفتيا، والتدريس ، وقافلة الحجاج ، وتقوم كذلك بنشاطات التجارة وتنمية الأنعام وحفر الآبار، وأغلب هذه القبائل ينحدروا من أصول قبائل المرابطين المعروفة، أما البعض الآخر فينحدر من عرب الأمصار الذين وفدوا إلى الصحراء في عهود مختلفة لكنهم اندمجوا في صنهاجة الصحراء[2].

1) فئة بنو حسان (العرب):

بنو حسان الذين تولوا القيادة العسكرية، وهم الذين يمسكون زمام السلطة في الإقليم، وليس لحكمهم تنظيمات إدارية محددة ثابتة، وعاصمتهم عبارة عن معسكر للإمارة يسمى [الحلة]، وينتقل هذا المعسكر من مكان إلى آخر بحثاً عن الماء والكلا.

وتمتاز قبائل بني حسان بممارسة الحروب والمهارة فيها وشن الغارات من حين لأخر سواء فيما بينهم، أو على القبائل الأخرى ويحاولون دائما فرض السيطرة بالقوة العسكرية[3]، وهي الطبقة العليا في السلم الاجتماعي، وأعضاؤها هم أهل الشوكة وينحدرون من أصول مختلفة أغلبهم من أصول قبائل بني حسان العربية التي جاءت مع الهجرة الهلالية، ودخلت موريتانيا منذ القرن 8هـ (14م) على الأقل والبعض الآخر من أصول قبائل صنهاجة التي ظلت مستقلة وذات نزعة حربية[4].

شكلت قبائل "الزوايا" وبنو حسان العرب قيادة ثنائية للمجتمع الشنقيطي، مارست المجموعة الأولى القيادة الروحية والعلمية وإدارة الشؤون الاقتصادية، ومارست المجموعة الثانية القيادة العسكرية واشتركتا معاً في السيطرة السياسية وقد كرس المجتمع هذه القيادة المزدوجة بتمجيد شأن العلم والسلاح واعتبارهما رمز المجد والكرامة فلا مكان إلا لمن يدلي بشهادة علمية أو شهادة عسكرية لا مكان لمن لا يحمل مهندا طريرا أوكتابا مطررا[5].

---

[1] الخليل النحوي: المرجع نفسه، ص 34-35.

[2] حماه الله ولد السالم: المرجع السابق، ص14.

[3] الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص80.

[4] حماه الله ولد السالم: المرجع السابق، ص14.

[5] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص36.

2) فئة الأتباع:

تأتي هذه الفئة في أدنى السلم الاجتماعي وتسمى "اللحمة *"، وتتكون من قبائل غارمة لم تحتم بسيف ولا قلم، فبسسط عليها الطرفان المتقدمان نفوذهما، وسخروها لأغراضهم الخاصة من رعي ماشية وخدمة وغير ذلك [1]، رغم قدرتهم على حمل السلاح كمحاربين والقيام بالوظائف الدينية مثل الزاوي، فليست لهم وظائف محددة كما هو شأن سائر القوم، فهم يمثلون الطبقة الثانية بعد الزاوي والحساني[2]، إضافة إلى ذلك تتكون من قبائل مستقلة وهم:

أ) الصياديون:

وهم الذين لا يملكون الماشية ويشتغلون بالصيد البري لمن يسكنون في الصحراء، والبحري لمن يسكنون على الساحل، ويعتبر الصيد أهم مصادر رزقهم، إن لم يكن هو المصدر الوحيد فيأكلون منه ويتاجرون بالباقي ليحصلوا من ثمنه على وسائل معيشتهم[3].

ب)العتقاء (الحراطين):

وتعرف بالحراطين**، تتميز بالسمرة الداكنة أو السواء، منها من كان الموالي أو العتقاء [4] وهم المعتقون من الرق ويشكلون رصيداً من الأيادي العاملة فيقومون بالأعمال اليدوية الشاقة كحفر الآبار وإنشاء المباني والطرق وغير ذلك[5].

ت)الصناع (المعلمون):

---

* تطلق كلمة اللحمة عند الشناقطة على الوبر غير الجيد، وقد استعاروها علماً على هذه الفئة من المجتمع، أنظر الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 46.

[1] الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص81.

[2] عفاف عباس: المرجع السابق، ص19.

[3] الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص19.

** تعريب الاسم الصنهاجي: أهرظن: إحراضن، الطبقة الثالثة من مجتمع الأمازيغي، وتعني التسمية: المختلط من أب أمازيغي وأم حبشية، أو العكس. وتعود أصول الكثير منهم إلى سكان الواحات القديمة التي عمرتها بقايا "الجرمنت" من اللوبيين البربر، التي اختلطت بالسكان السود.ينظر حماه الله ولد السالم،المرجع السابق،ص431.

[4] حماه الله ولد السالم: المرجع نفسه، ص60.

[5] الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص82.

فئة تمتهن الحدادة، ولا ترجع إلى أصل واحد فمنها العربي والصنهاجي والسوداني، ومن الصناع* الأسر العريقة التي انتقلت من بيوتات عربية أزواوية بفعل الحروب أو الخلافات أو الهجرات ، وهذه الفئة أكثر ارتباطا بالزوايا نظراً لدورهم التجاري والاقتصادي، ومن الصناع أسر تميزت بالعلم فصارت من أعيان مجتمعها.

ث)الزفانون (المغنون –الشعراء):

ويسمون في لهجة البربر: إيغاون مفردها إيغوي – تحريف الغاوون، أي صفة الشعراء المذكورة في القرآن الكريم، حرفتهم الموسيقى والغناء، وأصول بعضهم أندلسية أو عربية، وأغلبهم من التوارق والسودان. ويرتبطون عضويا بطبقة الشوكة (حسان)[1].

المطلب الثالث: العناية بالعلم والتعليم

اعتنى الشناقطة كثيراً بالعلم ودعا إليه علماؤهم فلبى الناس الدعوة، واتخذوا العلم قسيما للمال فرغبوا عن المال، وكان لهم في إقبالهم على المحضرة رهبانية العلم وهوى العذرى العميق، فكانت هذه الروح نتيجة وسببا في آن واحد لانتشار العلم، ونحن نرى أن هوية التعلم أول ما قامت قامت على أساس من الدين وبه استمرت ، فقد وجدت دعوة الإسلام إلى العلم آذان صاغية وقلوبا واعية عند الشناقطة الذين لبوا النداء واندفعوا بحماس ينشرونه في الآفاق ، فأصدروا في ذلك الفتاوي وحرروا الكتب والرسائل ودبجوا القصائد ومن ذلك دعوة محمد فال بن متالى ** لحضور مجالس العلم حتى لمن لا يستفيد منها:

---

* (المعلمون، الحدادون) فئة من المجتمع العربي (البيضاني)، تختص بالحرف والفنون اليدوية أدوات الحضارة البيضانية في الصحراء الكبرى. ينظر حماه الله ولد السالم،المرجع السابق ،ص431.

[1] حماه الله ولد السالم: المرجع نفسه، ص15.

** هو محمد فال بن متالي، واسمه المختار بن محمد بن أعمر بن أبيجه، من قبيلة تندغة ثم من أهل أعمر اكدبيجة. وهو العالم العابد الصالح الورع. مات عنه والده وهو في الثالثة من عمره لكن أمه ربته أحسن تربية. واشتهر بأنه لم يدرس على أحد، وقد فتح الله عليه في جميع العلوم، وصار مورد الطلاب ومأمن الخائفين. وكان يرى جواز الاجتهاد لكل من أتاه الله العلم والفهم. وكان مختص بابه يقول إن أجوبة ابن متالي مسلمة عند أهل عصره نظرا لعلمه وتمكنه من ناصية الفتيا. توفى سنة 1268 هـ ودفن عند انوعمرت. ولهتأليف منها فتح الحق في السلوك وكتاب الآخرة والأولى في التفسير ووكتاب هل جزاء الإحسان إلا الإحسان في الأعمال والأذكار وكتاب قرة عين النسوان ونظم المعجزات والخصائص النبوية وغيرها. وكان يدعى بالمرابط. ينظر المختار بن حامد، تاريخ موريتانيا حوادث السنين، المصدر السابق، ص514.

عليك بالتعلم والتعلم *** ذا رغبة في أجره المعظم
لا يزعك عن حضور العلم *** وأهله أن لم تكن ذا فهم
فأن في الجلوس عند العلم *** سبع كرامات لغير الفاهم[1]

فالشناقطة في تجاراتهم نقلوا العلم والدين حيث حلوا، سواء في رحلاتهم التجارية إلى مناطق الشمال أو الجنوب ، وكذلك في رحلتهم إلى البلاد المقدسة ، فقد أفادوا واستفادوا وأخذوا وأعطوا، فطوال هذه المرحلة الزمنية، ازدهرت هذه المدينة ازدهارا ملفتا لنظر الباحثين والمهتمين بالنشاط الفكري العربي والنشاط العلمي[2].

وكذلك كانت موريتانيا بدورها ومازالت إلى اليوم تنشر التعاليم الإسلامية، والثقافية العربية اشتدت عناية الزوايا بالعلم، واستجلبت المتون من بلاد الإسلام وعني الطلاب بدراستها والعلماء بالتعليق عليها واختصارها ومحاذاتها بمصنفات منثورة أو منظومة، لم تخل قبيلة من الزوايا في هذا العصر من علماء مشاركين في جميع العلوم أو مختصين في بعضها[3].

فالشناقطة كانوا يكبرون العلم كثيراً ويجدون لذة كبيرة في استكناه مجاهله واستكشاف خباياه، وعن لذة العلم يتحدث سيدي عبد الله بن محمد بن القاضي العلوي* (1143 هـ/1731 م) شعرا:

إذا جلت فكرا في العلوم عويصها *** وجئت بما يشفي غليل مريدي
تصاغرت الدنيا لدي وأهلها *** ومادت بي الأفراح كل مميد
ونلت لذيذ العلم بالذوق وحده *** وكل لذيذ غيره كهبيد[4]

---

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص83.

[2] مسعد حسين محمد: وقفات على بلاد شنقيط، تق أصحاب الفصيلة أحمد المرابط الشنقيطي –محمد عيسى الشنقيطي –عمر الحدوشي المغربي –محمد الأمين الشنقيطي –لارباس بن المرابط الشنقيطي –يوسف الصلاحي اليمني، ط2، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية مصر، 2016، ص72.

[3] المختار ولد الحامد: حياة موريتانيا الثقافية، منشورات الدراسات الإفريقية، الرباط، 1994، ص6.

* اشتهر بابن رازكة وهي مرضعه. وهو أحد العلماء والأدباء والأصوليين ببلاد شنقيط. ويعد مؤرخو الشعر الموريتاني رائد الشعر بهذه البلاد. وكان ضليعاً بشتى المعارف العربية الإسلامية وقد مكنته أسفاره من اقتناء نوادر الكتب، كما مكنه ذكاؤه وفطنته من تحصيل كثير من علوم عصره. وقد أخذ عن الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي عالم شنقيط. ومن أشياخه بالمغرب الأقصى: سيدي أحمد العطار وأبو مدين القاضي الأكبر وأحمد بن يعقوب الولالي ومحمد مبارة. وتوفى ابن رازكه سنة 1143هـ.ينظر الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 502.

[4] الخليل النحوي: المرجع نفسه، ص85.

وقد انعكست حالة ارتباط البدو بالعلم والثقافة حالة تماهي غريبة بين الطرفين وميل شديد للدرس العلمي انعكس على مفردات اللغة اليومية للقبائل الموريتانية التي ساد ت بينها في ثقافتها الشعبية المساجلات العميقة بين قيمة العلم وقيمة المال في الحياة والتي عادة ما كان العلم يفوز فيها على حساب المال، كما سادت الأمثال الشعبية الممجدة لقيمة العلم وأفضليته على باقي المفاخر، كقول "ما العيش إلا تحت الركاب أو تحت الكتاب"[1]، وقد أقام علماء المحضرة صراعا حادا بين العلم والدنيا (المال)، رغم أن مقاليد الثروة من تنمية وتجارة وزراعة كانت بيد الزوايا فصوروا العلم والمال قطبين يتصارعان لا سبيل للجمع بينهما، ودعوا إلى اختيار العلم وحصروا فيه مجد الدنيا والآخرة وبالغوا في تحقير شأن المال[2].

وفي موريتانيا يبلغ المعدل الإجمالي للالتحاق بالمدارس في مرحلة التعليم الأساسي 76,8 في المائة في عام 2014 مقابل 90,9 في المائة في عام 2008 و76,7 في المائة 2004، ويوجد فرق جلي حسب الوسط، بنسبة 90,8 في المائة في الوسط الحضاري و 66,2 في المائة في الوسط الريفي[3]، ولتشجيع التعلم ابتدع المجتمع المحضري نظرية تقول أن دماغ الإنسان يتكون من كمية هائلة من الثقوب التي تنسد وتنفتح تبعا لمستوى البلادة أو الذكاء عند الإنسان ، فالذي يدرس كل يوم ويستفيد كل يوم جديدا تظل ثقوب دماغه تنفتح فيزداد ذكاؤه وفهمه بازدياد علمه ، أما إذا توقف عن التعلم فإن هذه الثقوب تأخذ في الانسداد تدريجيا حتى يعود المرء إلى الدرك الأسفل من البلادة وكان الشناقطة يراعون هذه النظرية ويحرصون على تعلم الجديد في كل يوم جديد [4].قد رفدت الحياة العلمية في البلاد وساعدت على قيام "المحاضر" وازدهارها كمؤسسات تربوية ناجحة [5]، ليعود الفضل إلى هذا الترسيخ العلمي والثقافي في هذه البيئة الصحراوية إلى مؤسسة تربوية اشتهرت في تاريخ شنقيط باسم المحضرة[6].

---

[1] حسنة الغامدي- طارق العجال: التعليم الديني والبدوي في صحراء شنقيط، دراسة في التاريخ والمناهج ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 5، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، ماي 2016، ص13.

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص86.

[3] الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية لإفريقيا، موريتانيا: موجز قطري، أديس أبابا، 2016، ص22.

[4] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص89.

[5] الخليل النحوي: المرجع نفسه، ص100.

[6] الأمم المتحدة: المرجع السابق، ص14.

خلاصة الفصل

نستنتج من مضمون الفصل الأول أن موريتانيا تميزت بموقعها الجغرافي الاستراتيجي جعلها تربط بين العلم العربي وغرب إفريقيا ، وبالرغم من صعوبة مناخها كان لها حظاً وافراً في استقطاب الجنس البشري إليها، وقد تنوعت التركيبة البشرية في موريتانيا لتشتمل عدة قبائل أهمها قبيلة بني حسان وقبيلة صنهاجة.

كما أولى المجتمع الموريتاني اهتماما كبيرا بالعلم والانجذاب حول المراكز التي توفر التعليم وذلك في وقت مبكر وبشكل جماعي.

الفصل الثاني

سياق تشكل المحضرة في موريتانيا

الفصل الثاني: سياق تشكل المحضرة في موريتانيا

قبل الحديث عن نشأة المحاضر ينبغي أن نعطي لمحة ولو قصيرة عن بداية التعليم الإسلامي في المنطقة قبل ظهور المحاضر ، فمن المعلوم أن الحركة العلمية الإسلامية تدرجت من بلد إلى آخر حتى وصلت إلى المنطقة على أيادي الفاتحين للإسلام الذين فتحوا شمال إفريقيا، وكان نشر الإسلام يسير مع الفتح البلاد جنبا إلى جنب ، ولا يستبعد احتمال ظهور مستوى ما من التعليم الديني في بلاد الملثمين مع دخول الإسلام إليها أواسط القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي.

يكاد المؤرخ ـون الموريتانيون مثل المختار والنحوي والفرنسيون مثل فرانسيس دو شاسه * Francis de Chassey يجمعون على أن تاريخ المحضرة يعود إلى ظهور دولة المرابطين البدوية في منطقتهم وتحديدا إلى الحركة الإصلاحية التي بدأها الشيخ عبد الله بن ياسين ** والتي أضطر في بدايتها إلى الانزواء في الصحراء بالقرب من نهر السنغال بعد تصادمه مع نفوذ كبار قبيلة صنهاجة ، وأقام عندها رباطاً (مدرسة) سنة 431 هـ/1039 م جمع فيها جملة من مريديه وتلاميذه لتظهر بذلك نواة النظام التعليمي المحضري، والتي مكنت عبد الله بن ياسين بعدها من تأسيس دولة المرابطين بعد تزايد أعداد الطلبة، وباعتماد تحقيب أولي لهذا التعليم يرى أنه مر عبر مرحلتين:

مرحلة المدن: ويعتقد بعض الدارسين أن النشأة الفعلية للمحاضر بصحراء الملثمين تعود إلى ظهور الدعوة المرابطية بها، إذ كان العلم حضريا في عهد المرابطين وقرونا من بعدهم كما يقول الخليل النحوي الذي أختار لهذه المرحلة عنوان له دلالته هو "الحواضر مهد المحاضر".

أما مرحلة البادية : إذا كانت المحضرة قد نشأ ت منذ المرحلة المرابطية على الأقل في الحواضر فأنها سرعان ما أصبحت مؤسسة تربوية بدوية من حيث الأساس إذ انتشرت من المدن إلى الأرياف مغطية

* ولد فرانسيس دي شاسه سنة 1934، وقد درس الأدب والفلسفة والأنثروبولوحيا والسيسيولوجيا، من مؤلفاته إسهام في سيسيولوجيا التخلف أطروحة من جزأين 1972، الركاب والمحراث والكتاب الصادر عن انثروبو 1977. ينظر فرانسيس دي شاسه: موريتانيا من سنة 1900 إلى سنة 1975، تر الدكتور محمد بن بوعليبة بن الغراب، دار النشر جسور، ص خلفية الكتاب.

** من أهل جزولة من قرية تماماناوت في طرف صحراء غانة مصلح ومجاهد، قاد حركة جهادية استولى على عدة مدن صحراوية في إطار تأسيس الدولة المرابطية توفي ببرغواطة 451 هـ/ 1059 م، انظر أبي عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (المسالك والممالك)، مكتبة المثنى بغداد ، ص-ص 165-168.

المجال الشنقيطي الفسيح من ضفاف المحيط الأطلسي إلى أزواد ومن نهر السنغال إلى الحدود الجزائرية والمغربية.

المبحث الأول: المحاضر في الإسلام

المطلب الأول: التسمية

لم يسم الشناقطة مؤسستهم التربوية هذه "كتاباً" لأنها تختلف عنه ولم يسموها "خلوة" ولا "زاوية" ولا "مدرسة" أو غير ذلك من التسميات المتداولة لمراكز نقل المعرفة ونشرها في ديار العروبة والإسلام، وإنما اشتقوا لها اسما خاصا كان مظهرا من مظاهر فرادتها وتميزها في بنائها ومناهجها ونمط حياتها عن مؤسسات التربية العربية الإسلامية الأخرى، فمن أين أتى هذا الاسم الذي ينطق ويكتب في العامية الشنقيطية (الحسانية) بالظاء المعجمة المشالة (المحظرة)، ويميل البعض إلى تفصيحه فيكتبه بالضاد المعجمة "محضرة" وربما نطقوه كذلك؟[1].

والاسم الذي اضطلاعه به المحاضر على المدارس وغيره من المؤسسات التعليمية الأخرى تمخص عن دورها الذي ميزها عن هذه المؤسسات التربوية التعليمية وهذا ما دفع بها إلى الانفراد بمصطلح المحضرة أو المحظرة والذي اشتد الخلاف حول أصل كل من اللفظتين والترجيح الأنجع للتعبير على هذه المؤسسة التعليمية دون تقليص معناها من خلال لفظتها الاصطلاحية.

المحضرة في اللغة والاصطلاح:

في اشتقاقها اللغوي اسم مكان (مَفْعَلَة) يحتمل تفسيرات ايتيمولوجية عديدة لعل من أكثرها وجاهة: المَحْظَرَة، أن تكون مشتقة من فعل حَظَرَ أي منع بوسيلة مادية أو معنوية ، فهي ماديا الحظيرة التي كثيراً ما كانت تحيط بخيمة شيخ المحظرة ومصلاه وعرائش طلبته لحمايتها من الحيوانات وغيرها، تقام هذه الحظائر عادة فور حلول المخيم بأي مكان جديد يتم النزول فيه ، أما من الناحية المعنوية فقد يتصل هذا الاشتقاق بالحظر الذي يمارسه الشيخ على الطالب المحظري بمنعه من التجوال

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 61.

داخل الحي والانغماس في مشاغلهم الدنياوية ، وقد كانت المحظرة منذ نشأتها ملجأ للخائف وملاذ للمستضعف من غارات النهابين والظلمة [1].

أما المَحْضَرَة فالمقصود بالمحاضر المناهل يحضرها الناس ويجتمعون حولها ، ولكن الكلمة وردت بمعنى المدرسة في مراجع تاريخية وفقهية، ففي رحلة ابن جبيري المتوفى سنة (614 هـ) يقول عند استعراضه لمعالم مدينة القاهرة ومآثر صلاح الدين الأيوبي فيها "ومن مآثره الكريمة المعربة عن اعتنائه بأمور المسلمين أنه أمر بعمارة محاضر إلزمها معلمين لكتاب الله العزيز يعلمون أبناء الفقراء والأيتام وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم" وهكذا نرجح أن يكون أصل الكلمة بالضاد لا بالظاء[2]، وذلك استنادا إلى المرجحات التالية:

- ورود كلمة المَحْضَرَة في المصادر القديمة مرادفاً للمدرسة.
- كون الحضور أعلق بهذه المؤسسة التعليمة من الاحتظار.
- اضطراب نطق الضاد بالظاء في اللهجة الحسانية[3].
- إهمال مادة "الاحتظار" في اللهجة الحسانية، فهم يقون الحظيرة "الزريبة" أو "التحويشة"...الخ.

المحضرة وهي المدرسة العظيمة التي أخرجت فطاحل العلماء والحفاظ الذين تفتخر بهم موريتانيا، بل يفتخر بهم العرب فمنهم أعلام في اللغة مثل الشيخ محمد بن التلاميذ التركزي الشنقيطي *، وفي

[1] محمدن أمين محمدو: المحضرة الموريتانية مؤسسة لنقل المعارف، مركز الدراسات الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2016، ص48-49.

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 61-62.

[3] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص 88.

* هو الإمام الكبير الذي انتهت إليه رئاسة العلم بالعربية في المشرق في عصره وأشرف على طباعة ونشر وتصحيح أمهات كتب اللغة العربية حتى اعتبر إمام اللغة العربية في عصره بلا منازع أخذ عن أحمد بن أحمد بن الهادي اللمتوني ودرس في محضرة أهل أبات ثم أخذ عن العلامة أجدود بن أكتوشن العلوي ولازمه حتى تخرج على يديه ثم خرج إلى المشرق ومر بقرية تيندوف فأخذ عن قاضيها أحمد يكن بن محمد المختار بن الأعمش الجكني سمع منه شيئاً من الحديث ثم استقر بالمشرق وتجول بين الحجاز ومصر والشام وتركيا وحصل مكتبة نفيسة اشتملت على نوادر مخطوطات اللغة العربية والنحو. ينظر يحي بن محمد بن احريمو:معجم المؤلفين في ولايتي العصابة وتكانت، مذكرة لنيل شهدة المتريز في العلوم الشرعية ،اشراف محمد الأمين بن احمد طالب ،المعهد العالي للدرسات والبحث الإسلامية ،2004-2005،ص82.

التفسير والأصول مثل محمد الأمين الشنقيطي * صاحب أضواء البيان وغيرهم من العلماء وهذه المحاضر تكون متنقلة بمعنى أنها تكون في موضع تستقر فيه ثم تنتقل إلى موضع آخر تستقر فيه تبعاً لاستقرار شيخها الذي يتبعه تلامذته[1]، ومن هذا فإن المحاضر هي مؤسسات تعليمية إسلامية نشأت في موريتانيا لتكون أداة لنقل المعارف العلمية وإرساء أسس الدين الإسلامي وتعهده بالرعاية في بلاد لم تعرف من الحواضر إلا ما ندر.... وإنما كان جل أهلها من البدو والرحل الذين ينتجعون مساقط الغيث ومنابت الكلا[2].

وتختلف المحضر عن مرادفاتها في بعض الأنشطة التي تجعلها أنجع من سواها وأبعدها أثراً وأكثرها انسجاماً مع فلسفة التعليم من حيث كونها وسيلة تؤدي إلى ما بعدها وغاية يمكن التوسل بها ، فالمحضرة جامعة شعبية متنقلة ومجتمع متكامل ولكنه منظم بطريقة خاصة، فهناك مكان واسع قد يكون مخيماً وهذا المرفق يمتاز بأنه قابل للنقل من ناحية أخرى بحسب الظروف التي تسود منطقته وصاحب القرار في ذلك هو الشيخ أو الفقيه أو المعلم بلغة الهوسة[3]، أما بالنسبة للتعليم المحضري فهو ذلك النمط من التعليم الذي يتم في مدارس أهلية طوعية قرآنية أو فقهية ، وقد ظلت هذه المحاضر وهي مؤسسات ذات وظائف متعددة اجتماعية وثقافية وتربوية تنشر المعارف العربية والإسلامية بمختلف فنونها في ربوع الصحراء وفي المناطق الإفريقية المجاورة وما تزال المحضرة تضطلع بهذه المهمة في نقاط عديدة من موريتانيا مستقبلة طلاب موريتانيين يأتون إليها من كل فج رغم قوة اكتساح منافستها المدرسة النظامية وشح مواردها وقسوة ظروف الدراسة بها[4].

* فقيه صوفي أخذ عن والده وعن الفقيه أحمد بن عمر وأحمد الأفرم بن محمد المختار تولى القضاء في قرية تامشكط. تأليفه: "مشعب الحق في شرح كلمة التوحيد" و "الأصول الثمانية لإثبات الصفات" و "رقم الساعد والبنان في تناقض عقائد ا أضواء البيان" و "رسالة في تنزيه الله عن صفات المخلوقين" و"نظم الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي". ينظر يحيى بن محمد بن احريمو،المرجع السابق،ص61.

[1] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 105.

[2] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع نفسه، ص 87.

[3] يحي جبر: هل تعتمد المحضرة نمطاً؟ (وجهة نظر وخلاصة تجربة استغرقت 45 عاماً)، رؤى تربوية، العدد الثالث والعشرون، جامعة النجاح الوطنية، ص 106.

[4] محمدن أمين محمدو: المرجع السابق، ص 48.

المطلب الثاني:خصائص المحضرة الموريتانية

أولا:النشأة والتطور: تعددت المحاضر الموريتانية منذ ظهورها في بلاد موريتانيا لتشمل المحاضر التالية:

1 **رباط عبد الله بن ياسين** الذي يعتبر المحضرة الأم حيث تأسس حوالي سنة 431 هـ في جزر التيدرة على بعد ثلاثين كم إلى الشمال من مدينة نواكشوط عاصمة موريتانيا حالياً.

2 **محضرة أبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي** * المتوفى عام 489 هـ تأسست في "أزوكي" قرب مدينة أطار عاصمة الولاية السابعة من ولايات موريتانيا[1].

3 **محضرة تيشيت** **: أسسها الشريف الإدريسي عبد المؤمن بن صالح ***، مؤسس قرية تيشيت[2] عام 536 هـ/1142م، وكانت من أول يوم حاضرة علم ومعرفة، فقد كان الشريف سفير من سفراء العلم والدين، أخذ عن القاضي عياض السبتي بمراكش وحمل علمه إلى بلاد شنقيط فأسس هذه الحاضرة العريقة وألتحق به فيها زميله الحاج عثمان.

وتقول الروايات الشعبية المتداولة في " تيشيت" أن الشريف عبد المؤمن رأى واحة البلدة والجبال المطلة عليها يتدفق منها الماء فأعجبته هذه الأرض وقال "تي شئت" فصارت علما

---

* اسمه محمد بن الحسن لقبه أبوبكر المرادي الحضرمي عاش في ق 5 هـ توفى 489 ودفن بآزوكي 7 كلم من أطار كان عالما من أعلام المرابطين جاء به أبوبكر بن عامر من المغرب إلى البلاد فأقام آزوكي في منطقة تيارت يعلم الناس ويقضي بينهم إلى أن عرف بقاضي الصحراء وهو إمام زمنه في علم المعقول والمنقول وهو أول من أدخل علم الكلام إلى البلاد، وهو أقدم مؤلف في البالد ألف مؤلفاته قيمة منها: 1-كتاب التحيير في الأصول 2-الإشارة في تدبير الإمارة 3-أرجوزة كبرى في الاعتقاد 4-أرجوزة صغرى في الاعتقاد 5-رسالة في السياسة وآداب الإمارة. ينظر محمد عبد الله ولد المصطف:من ابرز علماء شنقيط (التعريف ب212 عالما) إدارة الثقافة والفنون ،ج1-ج2-ج3،ص5.

[1] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص 90.

** مدينة مشهورة بعد تكانت، قرية من الحوض، بينها وبين تيججكة نحو خمسة أيام، وبها نخل. وأهلها أدرى من أهل تلك البلاد بالتجارة، وهي أقرب مدن تلك البلاد للسودان. وكان أهلها ثلاثة أقسام، قسم يقال له: الشرفاء، وقسم يقال له: إماسنة. وقسم يقال له: أولاد بلة.ينظر احمد بن الأمين الشنقيطي:المصدر السابق ،ص459.

*** هو الشريف عبد المؤمن بن صالح المنحدر من سلالة أشراف آل صالح بن الحسن الذين ذكر الإدريسي (في نزهة المشتاق، ص22 -23)، مما اشتهر أن أول من بدأ في بناء تيشيت هو الشريف عبد المؤمن بن صالح. ينظر الدكتور مصطفى البكري الطيب الشيخ الهادي، دور قوافل الحجيج في نشر المذهب المالكي في إفريقيا، ،ص64-65.

[2] المختار بن حامد:حياة موريتانيا الثقافية، المصدر السابق، ص 118.

على القرية التي أسسها واستقر بها[1].

ولم تزل القرية تضم كنوزا من المخطوطات العربية النفيسة التي تنبئ عما وصلت إليه من أوج الحضارة في القرون الماضية، فلا ننسى أنها قرية الشرفاء أبناء حماه الله أصحاب النوازل المشهورة، ومن أبنائها الحسن بن اغبد الذي ملأ الدنيا صيتاً وعلماً ويؤثر عن أهلها قولهم "من فاته الحسن البصري فعليه بالحسن اليوسي ومن فاته اليوسي فعليه الحسن بن اغبد"، ونذكر ممن أنجبتهم هذه القرية أبناء انبوجه فرسان التصوف والعلوم[2].

4 **محضرة ودان***: أسسها " أدو لحاج" عام 536 هـ/1142م وعلى رأسهم الحاج عثمان الأنصاري** جد بطن أولاد الحاج، الحاج يعقوب القرشي جد أد ياقب والحاج علي بن محمد الصنهاجي جد لتيدات وإدو بج، وكان ذلك بعد رحلة إلى الحجاز أدوا فيها مناسك الحج [3]، وقد تفرع عن هذه المحضرة مدرستين الأولى في ايدو الحاج الذين نزحوا إلى القبلة في القرن العاشر الهجري ، الثانية في ايدو الحاج النازحين إلى الرقيبة في عجز القرن الحادي عشر الهجري.

كما تفرعت منها مدرسة الأوقتيين في تيبنكتو *** الذين رجع منهم إلى ودان بنو الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت قضاة ودان وأيمته[4].

---

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 69-70.

[2] محمد المختار ولد أباه: الشعر والشعراء في موريتانيا، الرباط، دار الأمان، ط2، 2003، ص 28.

* إحدى المدن الموريتانية تقع بمنطقة أدرار في الشمال الموريتاني وتذكر الروايات التاريخية أنها تأسست في منتصف القرن الثاني عشر، وكانت من أهم المدن التجارية عبر الصحراء. أنظر علي بدوي علي سالمان: المرجع السابق، ص32.

** هو الحاج عثمان الأنصاري القادم مع الشريف عبد المؤمن من المغرب حيث كان رفيقي درب ودراسة أسس حاضرة ودان 536 هـ. انظر التربية المستمرة وتعليم الكبار، الدكتور أيوب دخل الله، ط2، دار المعارف، بيروت لبنان، 2017، ص 81.

[3] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص 91.

*** مدينة مالية مشهورة، أسسها التوارك وخصوصا قبيلة آمغجرن، ويقال إن اسمها مركب من كلمتين هما "تن" وتعني ذات، و"بكتو" اسم مولاة للتوارك كانت تقطن تلك المنطقة، وكانت القوافل تترك عندها بعض الأمتعة فسميت تلك البقعة لذلك تنبكتو، وكانت تنبكتو مركزا للمبادلات التجارية عبر الصحراء، وبحكم موقعها الاستراتيجي بين منطقة المغرب والأندلس وبين إفريقيا، فقد لعبت أدوارا تجارية وثقافية في القرون الماضية. ينظر المختار بن حامد :حوادث السنين ،المصدر السابق ، ص40.

[4] المختار بن حامد: حياة موريتانيا الثقافية المصدر السابق ، ص198.

5 **محضرة شنقيط** تأسست سنة 660 هـ/1262م[1] أسستها قبيلتا إدو علي* والأقلال** بعد بناء مدينة شنقيط*** الجديد وقد قامت بهذه المدينة سوق العلم، وتفرع عن محضرة شنقيط عدد من المحاضر الشيء الذي جعلها هي العاصمة الثقافية للبلاد.

6 **محضرة ولاتة**: أسسها يحي الكامل: جد قبيلة المحاجيب في صدر القرن الثامن الهجري وبها ازدهرت الحركة العلمية وأصبحت مدينة ولاتة مركزا من مراكز العلم، والثقافة في المنطقة[2]، لقد استفادت ولاتة من تنبكتو في السراء والضراء ، فقد كان الولاتيون يتلقون العلم في تمبكتو أيام ازدهارها، وحين بدأ نجمها يأفل ارتحل عنها العلماء إلى ولاتة التي ورثت شقيقتها وأحسنت خلافتها، وظلت حركة العلم تتنامى في ولاته وتضمر في تنبكتو على مر الأيام حتى كادت حاضرة الثقافة السودانية تخلو من العلم والعلماء ، ففي القرن الثاني عشر هجري كانت خالية من العلماء[3].

ثانيا: خصائصها التربوية والاجتماعية:

المحضرة مؤسسة من مؤسسات التربية العربية والإسلامية الأصيلة تحمل خصائص وسمات النظام

---

[1] علي بدوي سالمان: المرجع السابق، ص 134.

* ذرية يحي العلوي وأعمامه المنحدين من سليمان بن عبد الله الكامل. وأصل هذه القبيلة من تبلبالت وتذكر مصادر تاريخ واحات اتوات الجزائرية قدوم "أولاد ؤو(ابن) اعلي البلبالي" إليها في القرن الخامس، فلعل التشكيلة العلوية تكونت من بقية شرفاء قدموا من تلك النواحي ظلوا يعرفون في ولاتة ب آل اندغليه وينتسبون لمحمد بن الحنيفة [لاحظ تطابق النسبة] كما كان في تنبكتو في نفس الفترة شرفاء يعرفون بالبلباليين في تنبكتو وتوات فلعلهم من بني عمومتهم. وكان إدواعلي من أول القبائل التي أسست مدينة شنقيط وعمرتها. ينظر حماه الله ولد السالم :المرجع السابق، ص420.

** أو (الأغلال) قبيلة تنحدر من الزاهد المشهور محمد غلي أحد مؤسسي مدينة شنقيط في القرن 7 هـ/13 م. وهناك إخوة محمد غلي أو أعمامه ومنهم محمود البكري لأن الأغلال كانوا يسمون "البكريين" إشارة إلى انتسابهم لذرية الصديق، وهناك جماعة "الحنوشة" أي المنتسبين للحنشي وهم من أخوة الأغلال، وكانوا يقطنون قرية "تربي" في بلاد الحوض وانتقل منها بعض علمائهم الكبار كأبي الأوتاد الحنشي وكان أول من أدخل سند مختصر خليل لتيشيت. ينظر حماه الله ولد السالم:المرجع نفسه،ص411.

*** تفسير شنقيط، عيون الخيل: على ما ذكره سيي عبد الله بن الحاج إبراهيم. وشنقيط في الأصل: تطلق على مدينة من مدن آدرار، واقعة فوق جبل، في جهة غرب الصحراء الكبرى، ثم سمى به القطر كله على ما سيأتي بيانه، فصار من باب تسمية الشيء باسم بعضه. ينظر احمد بن الأمين الشنقيطي:المصدر السابق،ص422.

[2] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص 91.

[3] الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 68-69.

التربوي الذي نشأ وازدهر في أحضان مدن الثغور * وحواضر الخلافة والثقافة ولكنها تتميز بسمات هي خالصة لها دون غيرها من المؤسسات التربوية العتيقة ومن بين هذه السمات [1] والخصائص لطالب المحضرة:

1)الحرية: فالطالب المحضري يتمتع بحرية اختيار:

- المحضرة التي سينتسب إليها.
- الشيخ الذي سيدرس عنده.
- المادة والمتن اللذين يرغب في دراستهما.
- الفترة الزمنية الملائمة لدراسته.

وتسمح هذه المساحة الواسعة من الحرية بمستوى من تحقيق الذات يجعل جل الطلاب يتعاطفون تعاطفاً وجدانياً مع محيطهم المحضري[2].

2)المساوات: فالمحضرة تكاد تكون الفضاء الوحيد الذي تذوب فيه مختلف أشكال التمايز الطبقي والعرقي إذ يتحدد الانتساب إليها بالرغبة والاستعداد دون اعتبار المكانة الاجتماعية أو فوارق السن، فالرجل الطاعن في السن قد يدرس مع الشباب كما الشاب اليافع قد يتولى تدريس من هم أسن منه، هذا فضلا عن عدم اعتبار المستوى المادي، إذ لا فرق بين غني وفقير[3].

3)شعبية: لا تتبع للحكومة أو هيئة تستقبل كل من يرد عليها من جميع المستويات ولا يرد أحد لنقص مقاعد الدراسة، كما لا تغلق لعدم وجود عدد كافي من الطلبة، ولا يوجد فيها سجلات للطلبة الذين يصل عددهم أحياناً إلى 400 طالب.

---

* وهي المدن التي سيطر عليها المسلمون وعملوا على تحصينها وتعزيزها بالجند، جنبا إلى جنب مع تلك التي أنشاؤها بعد الفتح. ولقد أطلق على هذه المدن الثغور أو الربط فكانت هناك ثغور داخلية وأخرى ساحلية. ينظر أيوب دخل الله: التربية المستمرة وتعليم الكبار،ط2، دار المعرفة، بيروت لبنان، 2017 ، ص135.

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 53.

[2] سيدي محمد سيدي سوخنا: مركز تكوين العلماء بموريتانيا وإسهاماته التربوية في المجتمع الموريتاني، مذكرة ماجستير في الدراسة التقويمية، قسم أصول التربية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 2019م، ص 35.

[3] محمد أمين محمدو: المرجع السابق، ص 53.

4)التلقين: تعتمد الطريقة التقليدية في المدارس الإسلامية التي تقوم على التلقين مباشرة من الشيخ وتلقي العلم عنه مباشرة لذلك تعتمد المحضرة نظام الحفظ والإجازة في قراءة الكتب [1]، وقد قامت الحياة العلمية العربية منذ فجر الإسلام على التلقي من أفواه الرجال، واستمرت على ذل ك حتى بعد أن انتشرت المخطوطات وكثرة دور الوراقة.

5)المحضرة البدوية المتنقلة: ولعل تلك أبرز سماتها المميزة، وحين نقول بدوية فإننا لا ننكر ما كان للحواضر من إشعاع ثقافي حيث احتضنت المحاضر أول أمرها ومنها انطلقت ، وفيها تعيش إلى اليوم وإن شا خت ولكننا نرمي إلى إبراز حقيقة تاريخية، هي أن المحاضر ازدهرت وانتشرت وتبلورت شخصيتها في رحاب البادية لا في المدن وليس لمؤسسة هذا شأنها أن تكون قارة ثابتة، بل هي حالة مترحلة منتقلة تقلب البدو في منتجعاتهم ومسارح إبلهم وأبقارهم، وقد سجل أحد طلبة المختار بن بونه (1220 هـ/1804م) هذه الظاهرة فيما يشبه الشكوى:

لك الله من شيخ إذا ما تبوأت *** تلاميذه مأوى لنصب المدارس
تيمم ميمون الخصاصة فاتراً *** على ظهر مفتول الذراعين عانس
يفزع نون البحر طورا وتارة *** يهدم حجر الضب في رأس مادس"[2].

6)جامعة: تعتبر المحضرة مرحلة تعليمية متقدمة حيث يلتحق بها الطلبة المؤهلون فقط والذين تلقوا تعليماً مسبقاً، وحصلوا نسبا معينة من العلوم [3]، ومن سماتها أنها جامعة حيث أنها تقدم للطالب معارف موسوعيتي في مختلف فنون المعرفة، فالمواد التي تدرس فيها هي:

- القرآن الكريم، حفظاً ورسماً وتجويداً بالروايات المختلفة، وبقية علومه.
- الحديث النبوي الشريف وعلومه.
- العقيدة وعلم الكلام.
- الفقه وأصوله وقواعده وفروعه.
- السيرة والتاريخ والأنساب.
- الأخلاق والأدب والسلوك.

[1] حسنة الغامدي-طارق العجال: المرجع السابق، ص 21.
[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 55-56-57.
[3] حسنة الغامدي-طارق العجال: المرجع السابق، ص 21.

- اللغة نحواً وصرفاً وبلاغة ودواوين والنصوص النثرية.
- العروض والقوافي.
- المنطق.
- الطب.
- الجغرافيا.
- أسرار الحروف.
- الفلك[1].

7)التطوع: تقوم المحضرة على أساس التطوع والمبادرة الحرة في الدراسة والتدريس معاً حيث لا يتقلى الشيخ أي مقابل مادي على جهده [2]، قد يتلقى الهدايا والهبات ولكنه يأنف أن يطلب عوضاً من عمله، فهو يبذل علمه بسخاء يستفيد منه الطالب الموسر والمعسر على حد سواء ، وهو في ذلك يختلف عن مدرس "الكتاب" الذي يتلقى هدايا رمزية بمناسبة يوم الأربعاء وبمناسبة حفظ حزب جديد أو استكمال حفظ القرآن أو بالمناسبتين معاً ، وكلا التقليدين عقدان اجتماعيان رسختهما تقاليد المجتمع.

8)الفردية: تعتد المحضرة نظام التعليم الفردي، وطرفي العملية التربوية الأستاذ والطالب:

- من الطرف الأول يدير حلقات الدراسة ومجالسها في العادة شخص واحد هو"المرابط *" شيخ المحضرة، ورغم ما يكون من تعدد الأساتذة في بعض المحاضر فأن أحادية الشيخ هي السمة العامة للنظام المحضري، إلا أن المحضرة تمثل في واقع الأمر مركزا لتبادل المعارف ومنبر حوار وأخذ وعطاء.

- من الطرف الثاني تؤدي المحضرة رسالتها وفق نظام التعليم الفردي فالقاعدة العامة أن يكون لكل طالب درس خاص به، يختاره لنفسه في ضوء رصيده العلمي السابق[3].

---

[1] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 37.

[2] حسنة الغامدي-طارق العجال: المرجع السابق، ص22.

* هو الشيخ الذي يقيم في المكان الذي تتوافد عليه الطلبة للأخذ عنه بصفة دائمة لدوام الدراسة عليه ويقال المرابط نظراً لإقامته الدائمة لنشر العلم. ينظر الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: رحلة الحج الى بيت الله الحرام، دار ابن تيمية، القاهرة 640-864، ص 16.

[3] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 57-58-59.

9)الاستفادة العامة: وبما أن الحلقة العلمية مفتوحة فالجميع يستطيع حضور الدرس والاستفادة من علم الشيخ، كما توجد حالات من الدراسة الجماعية تسمى "الدولة" وذلك أن تكون مجموعة من الطلاب تدرس نصاً واحداً وتراجعه في وقت واحد[1].

10)المجانية: فالانتساب إلى هذه المدارس لا يتطلب رسوماً، فالميسورون يدرسون على نفقة ذويهم، المعدمون ينفق عليهم شيخ المحضرة أو بقية الحي أو يتقاسمون مع زملائهم الميسورين ، وتجسد هذه "المجانية" درجة من التآزر الاجتماعي ساهمت في تسهيل التعلم[2].

المطلب الثالث: أنواع المحاضر

لقد تنوعت المحاضر الموريتانية وتعددت لتصنف حسب المدرس والمواد المدرسة فيها.

وقد صنفت المحاضر حسب المدرس إلى ثلاث أصناف:

الصنف الأول:

المحاضر الأسرية حيث لا يوجد حي من قبائل الزوايا إلا ويوجد من أنت صرب للتدريس وحتى قبائل حسان، فلا بد من المرابط للتدريس وهناك محاضر للنساء من هذا النوع تلتحق بها الفتيات بعد أن يكن ناهزن سن البلوغ ، وبعد ذلك تتولى النساء التعليم في هذه المرحلة للبنين والبنات ما دامت أعمارهم قبل سبع سنين[3].

الصنف الثاني:

محضرة الشيخ الواحد، لقد كان العالم الشنقيطي أول صفة من صفاته أن يكون حافظا لكتاب الله عز وجل، وأن يكون ذاق مرارة الغربة في طلب العلم، ولذا كان العالم الشنقيطي يجمع بين تدريس القرآن وتدريس العلوم الشرعية، فهو يدرس كل الفنون وقد أوقف نشاطه على التدريس.

[1] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 37.

[2] محمد أمين محمدو: المرجع السابق، ص 54.

[3] علي بدوي سالمان: المرجع السابق، ص 132.

الصنف الثالث:

محضر عدة شيوخ، كل شيخ يدرس فناً واحداً[1].

أما بالنسبة لأنواع المحاضر حسب المادة المدروسة فيها فيها تصنف إلى أربعة أصناف:

الصنف الأول:

المدرسة القرآنية:

وتنحصر وظيفتها في تعليم القراءة والكتابة للمبتدئين وتحفيظ النص القرآني لا أكثر ، ونحن نرى ضرورة إخراج هذه المدارس من التصنيف المحضري مراعاة للاصطلاح المحلي الذي يخرجها من دائرة التعلم المحضري، ويميزها بمصطلح "قراءة اللوح" أو "اللوح" المختلف عن المحضرة في:

- قسرية برنامج التعليم.
- فردية التعليم.
- صغر سن المتعلمين غالباً.

ويمتاز هذا الصنف من المدارس بانتشاره الواسع في البلاد بحيث لا يخلو حي بدوي من مدرسة أو مدارس مما يعكس مدى إسهامه في نشر مستوى أولي من التعليم بين السكان [2]، فيها الأطفال ينقسمون إلى قسمين قسم جيد الحفظ وهذا غالباً يحفظ القرآن خلال عامين، والقسم الثاني من الأطفال يحفظ القرآن خلال أربع سنوات، وطريقة التحفيظ للأطفال يقوم الشيخ أولاً بكتابة الأحرف الأبجدية على اللوح الخشبي للأطفال الذين لا يجيدون القراءة والكتابة ، ثم يقوم بتعليمهم القراءة والكتابة أولاً، ثم يقوم بإعطائهم الورد الذي سيقومون بحفظه، فيكتب لهم الآيات بالأحرف مشكلة بالفتح والكسر حسب تشكيل الآية أو الآيات، ثم يكتب له الآيات التي سيقوم يحفظها على اللوح، ومع المتابعة الصارمة من الشيخ تجد بعض الأطفال لا يجيدون القراءة والكتابة ولكنهم يحفظون بالشكل والرسم والتلقي في البداية.

[1] مسعد حسين محمد: المرجع السابق، ص 41

[2] محمد أمين محمدو: المرجع السابق، ص 49-50.

ولا ينتقل الطفل إلى دراسة العلوم الشرعية كدراسة وحفظ المتون وشروحها في الفقه وأصوله وغيرها حتى ينتهي من حفظ كتاب الله عز وجل[1].

الصنف الثاني:

المحاضر المتخصصة:

وتختص تدريس عدد محدد من العلوم مثل علم القرآن والعقيدة والفقه، فشيخها مقتدر على تدريس علم الغاية (اللغة، النحو، أصول الفقه، المنطق) دون سواها ، ويصل عدد هذا النوع من المحاضر حسب إحصاء 1995 إلى 246 محضرة ويدرس فيها ما مجموعه 23781 طالب.

الصنف الثالث:

المحاضر الجامعة:

وهي تجمع بين تدريس علوم الآلة وعلوم الغاية معاً من تفسير وحديث وتجويد ونحو وبلاغة وحساب وأصول ومنطق..إلخ، ولا ينتصب للتدريس في هذه المحاضر إلا شيخ متمكن في جميع العلوم الشرعية والأدبية واللغوية وبإمكانه تدريس كل هذه الصنوف المعرفية ، ويقل عددها مقارنة بالمحاضر الأخرى نظراً لقلة الشيوخ الذين يمكنهم القيام بتدريس كل فروع المعارف بمفردهم ، ويصل عدد هذا النوع من المحاضر حسب إحصاء أجري 1995 إلى 151 محضرة، ويدرس فيها ما مجموعه 11130 طالب[2]، وهذا الصنف من المحاضر هو الذي أعطى هذا الركن القصي من ديار الإسلام صيته العلمي بما احتضن من جد الات علمية خصبة ، وبما أنتج من تآليف أصيلة تنزل الأحكام الشرعية على الوقائع اليومية لحياة البداوة والسيبة ، وبما أصدر من خريجين ذاع صيتهم في العالم الإسلامي.[3]

الصنف الرابع:

[1] مسعد حسين محمد: المرجع السابق، ص 39-40.

[2] حسنة الغامدي-طارق العجال: المرجع السابق، ص 22-23.

[3] محمد أمين محمدو: المرجع السابق، ص 50.

محضرة تدرس فنا واحدا، وهذه المحاضر منتشرة بكثرة في بلاد شنقيط في الحضر والبادية حيث لا يوجد حي من الأحياء إلا وفيه شيخ نصب نفسه لتعليم الناس ، والجدير بالذكر أن التعليم في المحاضر يتركز بصفة أساسية على حفظ وشرح المتون، وطلاب المحاضر لا يعدون العلم إلا ما حصل في الصدور ووعته الذاكرة متناً ومعنى ، ومن الأمثلة التي تعبر عن هذا المعنى عندهم قولهم"القراية في الرأس ما هو في فاس، ولا هو في مكناس..."

والمعنى: أن العلم المعتبر هو ما حفظ وليس في كثرة الذهاب إلى المدن الحضارية ومؤسسات التعليم فيها.[1]

أما بالنسبة لعمر هذه المحاضر بأنواعها فهي تعيش ما عاش شيخها ولكنها لا إذا مات ، وإنما تورث من بعده يرثها أبناؤه وطلبته الذين تخرجوا على يده فينشؤون محاضر لا محضر واحدة ، إلا أن المؤسسات الجديدة تحمل أسماء شيوخها الجدد فتبدو وكأنها مؤسسات وليدة وما هي إلى استمرار لمحضرة الشيخ الذي قضى نحبه، وفي الأخير ومن خلال هذا التنوع والاستمرار الذي ميز المحاضر عن غيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى نصل إلى أن أهمية المحضرة تمخض عن المهنج التربوي المعتمد فيها.[2]

المبحث الثاني: نظام التدريس في المحضرة المريتانية

المطلب الأول: مراحل الدرس

بعد استعراض النقاط السابقة بخصوص المحضرة الشنقيطية نأتي إلى العملية التربوية فيها [3]، إن عملية التعليم في موريتانيا اختصت بها قبائل الزوايا، فقلما نجد ذلك في القبائل الأخرى عرفت هذه الطائفة بهذا الاسم لملازمتهم الزوايا وهو جمع زاوية وهي موضع العبادة، كما عرفوا بالطلبة ومفردها طالب لطلبهم العلم واشتغالهم به ، والتعليم الذي عرفته له منهجه وأساليبه ومراحله الخاصة به ما يجعله نموذجا متميزا انفردت به موريتانيا عن باقي مناطق العالم.[4]

[1] مسعد حسين محمد: المرجع السابق، ص 41.

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 165.

[3] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 37.

[4] حبيبة ميلود كريمة مقدم: المرجع السابق، ص 21.

1)نظام الالتحاق:

عادة ما يسمح للطالب بالانضمام إلى المحضرة في سن ما بين اثنا عشر والخامسة عشر بعد أن يكون قد أتقن الكتابة والقراءة وأكمل حفظ القرآن الكريم وبعض المتون التعليمية [1] في مرحلة ما قبل التعليم المحضري التي تبدأ مع سن الخمس سنوات يلقن فيها الطفل المبادئ الأولى للحساب والحروف الأبجدية، ثم ينتقل إلى حفظ القرآن والقراءات وحفظ بعض المتون البسيطة كالأخضري وابن عاشر، تتولى عملية التدريس في هذه المرحلة عادة النساء [2] سواء كانت أمه أو خالته أو عمته أو جدته وأحيانا توجد في الحي من تتفرغ لهذه المهمة، ويبدأ بكتابة الحروف في لوح خصص لهذا الغرض ، وبعده ينتقل التلميذ إلى المحضرة ويوصى به إلى الشيخ وقد بات الطالب قادر على التغرب والبعد عن الأهل، كما أنه لا يلتحق بها الطالب إلا وقد حفظ القرآن الكريم كاملاً أو أجزاء منه ويلتحق ليتعلم فيها بقية أنواع العلوم كالفقه والعقيدة وعلوم العربية والتفسير وعلوم الحساب والتاريخ وغيرها ، ويشترك في الانضمام إلى هذا النظام التعليمي الذكر والأنثى حيث تخصص محاضر للنساء يدرسن فيها مساء طوال السنة[3]، وبالمقابل للطالب أن ينسحب من المحضرة متى شاء أما إلى محضرة أخرى أو لمباشرة شؤونه وتدبير أموره، فالمحضرة خيمة مفتوحة تدخل في جميع الأوقات من جميع الجهات ولداخلها أن يمكث ما يشاء ويخرج متى شاء ، ومن الانتساب الخاطف انتساب الطالب إلى المحضرة يريدها لحل إشكال عرض له وينصرف دون أن يمكث.[4]

2)مراحل الدراسة:

يمر الطالب الشنقيطي خلال دراسته بعدة مراحل تعليمية مختلفة تمثل المستويات الدراسية للمنخرط في المحضرة وهي كالتالي:

المرحلة الأولى:

[1] حسنة الغامدي-طارق العجال: المرجع السابق، ص 23.

[2] حبيبة ميلود كريمة مقدم: المرجع السابق، ص 22.

[3] حسنة الغامدي-طارق العجال: المرجع السابق، ص 23-24.

[4] مسعد حسين محمد: المرجع السابق، ص 49.

وهي المرحلة الابتدائية وتبدأ بتعليم الحروف الأبجدية، ثم حفظ القرآن الكريم، ومعرفة رسمه وضبطه، وتجويده بقراءة الإمام نافع، بروايتي قالون وورش، وأشهر المتون التي تدرس في علم التجويد:

نظام الدرار اللوامع لابن الباري ، وشرحه المسمى بالنجوم الطوالع على الدرر اللوامع، ومقدمة ابن الجزري، وهذه المرحلة تبدأ من السنة الخامسة وتنتهي ببلوغ الحلم.[1]

المرحلة الثانية:

وهي المرحلة الثانوية ويطلق على صاحبها "ولد زوايا" بمعنى أنه بعيد كل البعد عن الجهل ولم يبلغ بعد درجة العالم، وكلمة (زوايا) مدلول ثقافي في البلاد إذ يوصف أهلها باحتضان المعرفة والثقافة كأنهم انزووا عن الجهل إلى مجال الثقافة والكلمة مشتقة من الإنزواء للعبادة والتعليم، وغالبا ما يكون ذلك حول أضرحة الصالحين [2]، كما تسمى هذه المرحلة بـ "تعليم فرض العين" وذلك ان الطفل أو الفتاة عندما يبلغ أحدهما سن التكليف يصير بحاجة إلى معرفة أحكام الإسلام التي أصبحت فرض عين عليه، ويأخذ الطالب في هذه المرحلة في هذه المرحلة من أوليات العلم بنصيب فيدرس متوناً مختصرة مثل المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر في العقيدة والفقه، ومختصر الاخضري في الفقه، والأجرومية في النحو، وبعض دواوين العرب.[3]

المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة التعليم الجامعي ويعرف صاحبه "بالمنتهي" وهو الذي استوعب ما لدى استاذه من العلوم، ويجوز أن يطلق عليه لقب "العالم" الذي يحق له أن ينصب أستاذاً في محضرة جديدة، وبهذا التنصيب ينال لقب المرابط لأنه قادر على أن يدرس بإتقان النصوص المعتمدة في مجالات عديدة.[4]

3)مبادئ التعليم:

[1] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص 110.
[2] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 117-118.
[3] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص 110-111.
[4] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 118.

أنه من السمات العامة للمحضرة أن الطالب يتمتع بحرية واسعة في ممارسة الدراسة داخل المحضرة بدء من اختيار المتن والحصة الدراسية وغير ذلك، لكن هناك مبادئ تربوية ينصح بها الشيخ الطلبة الذين يحرصون على الإتقان، وهذه المبادئ هي:

أ)التدرج: ويدعو هذا المبدأ الطالب إلى التزام التسلسل الطبيعي في دراسته، فيبدأ بالمتون الصغرى المبسطة وينتقل منها إلى فئة وسطى قبل أن يدرس المتون الكبرى جامعية المستوى ، ويكرس هذا المبدأ التربوي الرجز التالي الذي ينقد عدم احترام بعض الطلبة لترتيب المتون[1].

ب)تقسيم المتون إلى أجزاء: ويعرف بلغة المحضرة ب(الأقفاف) والمشهور في المحاضر أن متوسط الدرس أو (القف) المتن المنظوم خمسة أبيات فقط لا يزيد عليها الطلبة المتفوقون الأذكياء ، أما المتون النثرية فيجزئها الطلبة وفق تقسيم شائع بينهم ، ولا تخفى غاية وفائدة هذا التقسيم للمتن المراد مراجعته وحفظه، فمنه يعرف الطلبة مواضع الصعوبة والسهولة فيحتاطون في المراجعة والتكرار.[2]

ج) تقليل الحصة الدراسية: للطالب الكلمة الفصل عادة في تحديد مقدار الحصة الدراسية في ضوء قدرته على الحفظ والاستيعاب ، ولكن للمحضرة آدابا وأعرافا تندب بمقتضاها الطلبة إلى اختيار حصص دراسية قصيرة يتمكنون من استيعابها بيسر، وقد تدخلت المحضرة في كبريات المتون فاعتمدت لها حصصا دراسية موزونة حذرت الطالب من تجاوزها.[3]

د)حفظ النص قبل جلوس الشيخ لشرحه: وهذه من أهم الطرق التي تعين على متابعة الحفظ دون انقطاع أو تعثر أو تأخر.

هـ)التركيز على التكرار: يركز الطلبة على الحفظ والاسترجاع والمراجعة المستمرة للنص المحفوظ، ويبلغ مقدار عدد تكرار الطالب لمتوسط المراد حفظه من مئة إلى ألف مرة في اليوم ويسميه طلبة المحاضر ب (أقباد)، حيث يجلس طالب العلم يعيد ويكرر في ما خط في لوحه بصوت مرتفع في الصبح ، وفي نهاية الأسبوع يراجع الطالب كل ما حفظه في أول الأسبوع وهكذا حتى ينتهي من المتن كله.

[1] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 39.

[2] حسنة الغامدي-طارق العجال: المرجع السابق، ص 26.

[3] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 39.

و)عقد مجالس للمذاكرة والأحاجي والألغاز والإنشاد: وتتم في عطلة نهاية الأسبوع فيعقد الطلاب أو المنتهون مجالس السهرة والسمر في ليلة الخميس أو الجمعة يناقشون ويتذكرون فيها ما درس خلال الأسبوع ويتبارون في تجويده وإتقانه وحفظه.

ز)اغتنام لحظات السحر في حفظ النصوص: يستغل الطلبة هذا الوقت المبارك للحفظ فلا تكاد تجد طالبا من المنخرطين في المحضرة نائماً وقت السحر.[1]

ح)وحدة المتن واستيفاؤه: ينصح الطالب أن يشتغل بدراسة متن واحد يفرغ له وينفرد به ، فلا يجمع إليه غيره ولا ينتقل عنه حتى يستوفي دراسته كله.[2]

4)مدة الدراسة ومواقيت الدرس:

تختلف مدة الدراسة في المحاضر الموريتانية من شخص إلى آخر وذلك بحسب عوامل متعددة منها:

- درجة الذكاء.
- الأحوال الاجتماعية.
- الهمة.
- مواتاة الظروف ...الخ.

ومن هنا فأن الطالب الشنقيطي كان حراً في المدة التي ينوي تخصيصها للتعلم مراعاة لما سبق ذكره من العوامل، وربما وجهه المرابط إلى اختيار معين اعتباراً لما يلمسه فيه من استعداد لاستيعاب مادة ما، وربما تكونت فصول صغيرة لدراسة واحدة... وتسمى في قاموس المحضرة ب "الدولة".[3]

أما بالنسبة لمواقيت الدراسة غالباً ما تكون خلال النهار فتبدأ ضحى بعد أن يكون الناس قد فرغوا من صلاتهم وإفطارهم وأخرجوا ماشيتهم إلى مراعيها.

وهناك محاضر يقرءون الحديث بين الظهر والعصر، وهناك من يدرسون علوم القرآن ما بين العشاءين، وهناك من يدرس الفقه من الصباح إلى الظهر وما بين الظهر والعصر، وهناك من مشايخ

[1] حسنة الغامدي-طارق العجال: المرجع السابق، ص 27.

[2] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 39.

[3] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 121-122.

المحاضر من يدرسون طلبتهم في الثلث الأخير من الليل ثم يشتغل بأوراده بعد صلاة الصبح إلى أن يصلي الضحى ثم يجلس للتعليم إلى قرب الزوال فينام نوماً خفيفاً.[1]

5)الوسائل التعليمية:

كانت الحياة المحضرية تقوم على مبدأ "الاكتفاء الذاتي" وكان حظ الأدوات التعليمية من هذا الاكتفاء حظا غير يسير ، فقد كانوا يتخذون الألواح والأقلام ويصنعون الأحبار من الأخشاب المحلية والأطيان،كما كانوا يوقدون النار ليلا فتكون ضياء للقار ئ، ومن بين الوسائل التعليمية التي كانت تستعمل على هذه المحاضر:

أ–اللوح والقلم: اللوح والقلم هما مبدأ أمر العلم وعماد الحياة المحضرية لهما فيها تلك المكانة التي يراها المؤمنون للوح المحفوظ والقلم في عوالم الكائنات.[2]

وفي حياة الطفل الشنقيطي يومان متميزان: يوم يحمل فيه اللوح يقولون (فد اللوح) أي: بدأ الدراسة، ويوم يأخذ فيه قلمه فيبدأ في كتابة درسه بنفسه بعد أن يكون قد تدرب على الخط باستخدام قلم جاف يتتبع به كتابة شيخه أو من ينقش له من الخطاطين الذين يرسمون نموذجاً يحاكيه الطفل في بدئ أمره ، وغالباً ما تتخذ الأقلام من الحلفاء أو الشمام أو من جريد النخيل وأعواده دقيقة مسطحة يتخيرون لذلك من الأعواد ما استقام واستوى وجف فنفدت رطوبته ، وغالباً ما يكون طوله دون الشبر (ما بين 12 أو 16 سم) ويقومون ببري رأس العود بموس أو شفرة يأخذون من وسطه و أطرافه حتى إذا دق رأسه شقوه من النصف شقاً دقيقاً به يسهل انسياب الحبر، وغالباً ما تكون للطالب عدة أقلام وتختلف الكتابة شكلاً وحجماً باختلاف هذه الأقلام ويصلح القلم للكتابة على اللوح والورق معاً، إلا أنهم يختارون للورق أقلام أكثر دقة تكون من الجريد.[3]

أما اللوح: فيتخذونه من الأخشاب الصلبة الغليظة وهو عادة مستوي القاعدة مستطيل الشكل إلى رأسه فيكون أعلاهمقوساً نصف دائري غالبا ومثلثا هرمياً نادراً.

[1] مسعد حسين محمد: المرجع السابق، ص 51-52.

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 147.

[3] مسعد حسين محمد: المرجع السابق، ص 42-43.

ويتراوح طول اللوح بين 30 و 50 سم أما عرضه فيتراوح بين 15 سم و 23 سم ويتخذ الطفل في الكتاب لوحا من الحجم الصغير إلى أن يتقدم في دراسة القرآن فيتخذ كطالب المحضرة لوحاً كبير الحجم، ويفضل الناس كتابة النصوص التي يدرسها الطالب على الألواح حتى وأن توفرت الأوراق ولهذا ارتبط اللوح بالمحضرة، وهو رمز الحياة المحضرية في التحية التي يوجهها إليه الشيخ محمد بن حنبل:

عم صباحا أفلحت كل فلاح *** فيك يا لوح لم أطلع ألف لاح
أنت يا لوح صاحبي وأنيسي *** وشفائي من غلتي ولواحي
فانتصاح امرئ يروم اعتياضي *** طلب الوفر منك شر انتصاح
بك لا بالثرا كلفت قديماً *** ومحياك لا وجوه الملاح[1]

ب–الحبر: ويصنع من أخلاط محلية ويتوفر بألوان مختلفة منها الأسود وهو أكثرها استعمالا، والأحمر وأكثر ما يستعمل في التوشيح والتطريز، والأخضر والأصفر وهو قليل الاستعمال.[2]

الحبر الأسود: فهم يصنعون الأسود من صدأ الحديد والقرظ، وهو ثمرة "آمور" "الغضا" وورق "التهات" "السلم" والصمغ، والعادة أن تترك هذه الأخلاط تختمر في مرجل أو قطعة منه طيلة ليلتين أو ثلاث حتى يسود الماء ويثخن ويحرك كل صباح ومساء بعود من الخشب، وإذا كان الحي متنقلا في الصحاري ونحوها حيث لا توجد المياه وإنما يعيش الناس باللبن ويتيممون لصلواتهم فإن المحبرة تحضر باللبن نفسه، ويعصرون من آسكاف (شجرة من الحمض) مادة سائلة يغسلون بها الألواح.

الحبر الأحمر: فهم يحكون (الحمرة) وهي مادة ترابية حمراء في ماء وصمغ، وقد يعصرونه من نبتة يسمونها " أم الدم" تتخذ أحياناً بديلاً للحناء في الزينة[3]

الحبر الأصفر: يصنعونه من أوراق شجرة "تالولاكت = تكفيت" أو "يرتمه" وهي نبات أصفر يستجلب من السنغال.

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 148.
[2] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 41.
[3] مسعد حسين محمد: المرجع السابق، ص 46.

الحبر الأخضر: يصنعونه من أوراق عشب بدوي يسمونه "الشريه"

ج–الورق:

لم يكون الورق مادة أساسية في حلقة الدراسة، فقد كان الطالب يكتب درسه على اللوح وفي القديم كان الورق الذي يصل البلاد خشناً ، فكان الناس يعالجونه بالدلك حتى يلين ثم يضعونه على صحيفة من حديد مشدودة عليها سيور دقيقة من الجلد ويمر رون على السيور كتلة معدنية ضاغطة فتنطبع السطور على الورق [1]، واستعمل هذا الورق لتدوين المتون واستنساخ المصن فلت فكان الورق بذلك عنصراً أساسياً في الحياة الثقافية.

د–الكتاب:

وكان نادراً وغالي الثمن، وقد دخلت الكتب إلى البلاد عن طريق الرحلات العلمية ورحلات الحج، واشتهرت مدن مثل شنقيط وولاته بكثرة مكاتبها [2]، ولندرة الكتب وضرورة العلم أفتى فقهاء أدغ ماجك بجواز سرقتها، كما يذكر الأستاذ محمد بن حامد ....ولعلهم اعتبروها من المنافع المشاعة كالماء والكلأ والنار التي يشترك فيها جميع الناس، وكانت الإعارة مورد من موارد الكتب وكان الشعر أداة هامة للنجاح في طلب الإعارة أو للامتنان بها، وكمثال على ذلك فقد استشفع محمد الحسن بن محمد عبد الجليل* بالشعر في طلب إعارة كتاب التصريح على التوضيح من محمد سالم بن الأمين فكتب إليه:

مني سلام إلى ذي المجد السامي *** محمد سالم الأعراض من ذام
فأنني ارتجي التصريح عارية *** من راحتيه مدى عامين أو عام[3]

6) نظام العطل:

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 149.

[2] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 41.

* محمد الحسن بن محمد عبد الجليل بن الحسن بن الأمين بن الحاج: طلب النحو على سيبويه تلك البلاد من غير دفاع، أستاذ بخطيه بن عبد الودود، أطال الله حياته، ثم على خليلها، محمد عالي بن سيدي بن سعيد، والفقه على أهل محمد سالم المشهورين هناك بهذا الفن. وكان رقيق الشعر، سهل العبارة، أمون من الغلط، كأنما الشعر في جيبه، يأخذ منه في أي وقت شاء، مع قلة ما حفظت له، أزهد الناس في معاصريهم ولعمري انها لبلية .ينظر احمد بن الأمين الشنقيطي:المصدر السابق،ص79.

[3] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 152.

لم تحدد المحاضر رزنامة محددة للعطل نظراً لطبيعة البدوية والشعبية للمحاضر لذا تختلف العطل من محضرة إلى أخرى إلا أن عموم المحاضر يتعارف على أن عطلة الأسبوع تبدأ من مساء الأربعاء إلى ظهر الجمعة، وتمنح معظم المحاضر الطلاب عطلة خمسة أيام قبل الأعياد والمناسبات الدينية وخمسة بعدها ويسمونه "خروج" مع ضمان حرية الطالب في العودة للمحضرة نظراً لكونه غير مرتبط بفصل دراسي يلزمه اللحاق به[1].

6)طريقة التقويم:

يختلف نظام التقويم في المحضرة عنه في المدارس والجامعات الحديثة ، ومع ذلك فالتقويم عملية مستمرة في رحاب المحضرة وتؤدي ثمارها بكفاءة، ويتخذ هذا التقويم نمطين هما:

أ–التقويم التكويني: وهو التقويم المستمر في المحضرة ومن أشكاله:

- **التقويم الذاتي الرمزي**: وهو ظاهرة تنفرد بها المحاضر، وتأخذ شكل أحاجي وألغاز ويطلع الشيخ عادة على سير هذا التقويم للاستفادة منه في رصد مستويات الطالب.
- **اختيار القافلة**: وهو أن يتعرض الطلاب للقوافل، ويطلبوا من علمائها اختيار مستوياتهم العلمية فيمتحنهم هؤلاء فأن نجحوا استحقوا عليهم مكافأة[2].

ب–التقويم النهائي: وهو لا يتخذ شكل امتحان أو اختيار، وإنما يبني الشيخ تقويمه النهائي للطالب على أدائه في سلسلة التقويمات التكوينية التي خاضها في أثناء دراسته، ويكلل الشيخ قراره بمنح الإجازة بناءاً على هذا التقويم.

7)الإجازات:

يقرر الشيخ منحها بناءأ على التقويم والإجازة نوعان:

- **إجازة مقيدة**: وتختص بعلم واحد كالفقه أو النحو أو الحديث ويلزم فيها إثبات سلسلة رجال السند الذي أخذ عنهم.

[1] حسنة الغامدي–طارق العجال: المرجع السابق، ص 29–30.

[2] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 41–42.

- **إجازة مطلقة:** ولا تمنح إلا لأفراد قليلين من النابغين الذين استكملوا جميع العلوم المدروسة في المحضرة، وأخذوا كل ما عند الشيخ، وعادة ما يؤسس هؤلاء محاضر جديدة في أحياءهم[1].

المطلب الثاني: المناهج الدراسية في المحضرة

تقدم المحاضر للطالب المحضري معارف موسوعية في مختلف فنون المعارف المورقة والمتمثلة في القرآن: حفظه ورسمه، وتجويده وتفسيره وبقية علومه، الحديث: متنه ومصطلحه ورجاله، العقيدة، الفقه: أصوله وقواعده وفروعه، السير: التاريخ والأنساب، الأخلاق والأدب والسلوك، اللغة والأدب: دواوين الشعر، والمتون النثرية، النحو والصرف، والعروض والقوافي، والبلاغة والمنطق، الحساب والهندسة والجغرافيا والفلك،[2] وتختلف المحاضر في ترتيب المعارف حسب الجهات فبعض المحاضر في "الكبلة" تبدأ بالفنون اللغوية ثم العقائد، ثم الفقه ، أما المحاضر شرق البلاد ووسطها فيبدؤون بالفقه أولاً، ويقول محمد مباك اللمتوني* مبيناً رأيه في ترتيبه المنهج:

وقدم الأهم إن العلم جم *** والعلم طيف زار أو ضيف ألم
أهمه عقائد ثم فروع *** تصوف وآلة بها الشروع

يصنف العلامة المختار ولد حامدن معارف المحضرة وفق الدرجة كما يلي:[3]

1)الدرجة الأولى: وتضم

أولاً– القرآن وعلومه: يدرس الطالب علوم القرآن وعلومه عن طريق تعليمه جملة من المتون

- في التجويد والقراءات يدرس: الشاطبية على القراءات السبع، ومقدمة ابن الجزري.
- في التفسير يدرس: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير.[4]

---

[1] حسنة الغامدي–طارق العجال: المرجع السابق، ص 30–31.

[2] مسعد حسين محمد: المرجع السابق، ص 37.

* أبن حبيب الله بن الأمين (ت 1290 هـ/ 1873 م عن نحو 90 سنة). أجازه الشيخ سيديا في العلوم الظاهرة والباطنة. له ما يربو على 100 تأليف. ترجم له المختار بن حامد (انظر أيضا رسالة يحي بن البراء الألفية وتأثيرها). ينظرالخليل النحوي:المرجع السابق،ص526.

[3] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 40.

[4] حسنة الغمدي–طارق العجال: المرجع السابق، ص 28–29.

- في الرسم يدرس: رسم ابن بري، ونظم الطالب عبد الله الشنقيطي في الرسم.
- وفي الحفظ يدرس: القرآن.[1]

ثانيا– الفقه وأصوله: يدرس الطالب هذا العلم عن طريق جملة من المتون

- في مادة الفقه يدرس: مختصر خليل بن إسحاق، رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وتحفة الحكام لابن عاصم، والكفاف لمحمد مولود ابن أحمد فال الشنقيطي*.
- في أصول الفقه يدرس: ورقات إمام الحرمين، وجمع لتاج الدين عبد الوهاب السبكي، ومراقي السعود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي.[2]

ثالثاً– الحديث وعلومه: يدرس الطالب

- في الحديث: يدرس موطأ الامام مالك والصحاح الستة.
- في مصطلح الحديث: يدرس ألفية العراقي وطلعة الأنوار لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم.[3]
- في العقيدة (علم الكلام): يدرس عقيدة ابن عاشر المغربي، العقيدة السنوسية نظم الواضح المعين لمحمد بن محمد سالم، نظم الإضاءة لأحمد المقري، نظم الوسيلة للمختار بن بونه.

رابعاً– التصوف: من بين كتبه مطهرة القلوب لمحمد مولود بن أحمد فال، ونصيحة محمد فال بن متالي ونصيحة زروق، وتصوف ابن عاشر.

خامساً– السيرة النبوية: يدرس فيها نظم قراءة الأبصار لعبد العزيز (اللمطي)، مدائح الرسول للبوصيري.

---

[1] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 118.

* العالم الجليل سليل العلماء الكبار. هو محمد مولود بن أحمد فال بن محمذن فال بن الأمين بن المختار بن الفغ موسى اليعقوبي. سمي باسم جده للأم فأمه مريم منت محمد مولود بن الناهي اليعقوبية واشتهر لقبه آده. عاش نيفا وستين سنة كرسها للعلم تأليفاً وتعليما. أخذ النحو عن محمد عالي بن سيد بن سعيد عالم أولاد ألفغ حبيب الله المشهوربلقبه "معي". وقرأ الفقه على ابن عمه محمد مختار بن حبيب الله اليعقوبي الملقب "أبوه". وأخذ عن محمذن فال بن متالي التندعي على خلاف في الرواية. ألف أحمد مولود تأليف قاربت المائة من أبرزها: كتابه في الفقه "كفاف المبتدئ من فني العبادات والتعبد". ينظر المختار بن حامد:تاريخ موريتانيا حوادث السنين،المصدر السابق،ص658.

[2] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص 112.

[3] حسنة الغامدي–طارق العجال: المرجع السابق، ص 29

سادساً– الغزوات: ومن بين ما يدرس فيها نظم الغزوات للبدوي الشنقيطي.

سابعاً– فتوحات الصحابة وأنسابهم.[1]

2)الدرجة الثانية: وتضم:

أولاً– اللغة والأدب

في اللغة والأدب المعلقات السبع، ودواوين الشعراء الستة الجاهلين ولامية العرب للشنفري، وبانت سعاد لكعب بن زهير، وديوان غيلان ذي الرمة، وديوان المعري ومثلث قطرب، ومثلث إ بن مالك، والشمقمقية لابن الونان، والمقصور والممدود لابن مالك[2].

ثانيا– النحو:

في النحو: الخلاصة لابن مالك والفريدة للسيوطي[3]، عبيد ربه الشنقيطي وملحة الإعراب وألفية ابن مالك.

ثالثاً– البلاغة:

في البلاغة عقود الجمال للأخضري، وألفية السيوطي.

رابعاً– العروض:

في العروض والقافية فيدرس الخزرجية.[4]

خامساً– أنساب العرب وأيامهم

في الأنساب: نظم أنساب العرب وعاداتها وأيامها، عمود النسب لأحمد البدوي الشنقيطي.[5]

[1] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 118-119.

[2] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص 112.

[3] محمد المختار ولد أباه: المرجع السابق، ص 31.

[4] حسنة الغامدي–طارق العجال: المرجع السابق، ص 28.

[5] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 119.

3)الدرجة الثالثة:

أولا: المنطق

ثانياً: التاريخ

ثالثاً: الجغرافية

رابعاً: الحساب

خامساً: الفلك

سادساً: الهندسة[1]

وهذه اللائحة من العلوم المدرجة في جميع الدرجات تعطينا نموذجا متكاملا عما يجب على المثقف معرفته في ذلك العصر، والجدير بالملاحظة أن هذه الثقافة لم تزل ترتكز على العلوم الشرعية حيث إن وجود الدراسات اللغوية والبلاغية يعتبر أداة لاستكمال المعارف الدينية [2]، ويبقى أن نشير إلى توزيع المقررات على النحو السابق معتمد في بعض المحاضر بين الأستاذ والتلميذ وليس مدوناً[3].

المطلب الثالث: النظام الاجتماعي داخل المحضرة

ومن النتائج الإيجابية لقيام المحضرة على روح التطوع وحرية المبادرة أن نشأت في رحابها علاقة حميمة أثيرة بين الشيخ وطلبته ومن عادة شيخ المحضرة أن يتعهد طلبته بالرعاية يسأل عن الغائب منهم ويعود المريض ويعتني به ويجعل الغريب حديث العهد محل نظر خاص، ثم يمازحهم ويساجلهم ويعتذر إليهم عند الاقتضاء وكذلك كان شأن الطلبة مع أساتذتهم في المحضرة يجلونهم أيما إجلال وينظرون إليهم بعين المحبة والمهابة ويخدمونهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا [4]، وتعتمد المحاضر في مواردها على ما يملكه الشيخ من أبقار ونوق، ويحرص الشيوخ أن يكفلوا حاجة طلبتهم الغذائية وقد لاحظ لاكروا أن أحد شيوخ المحاضر وهو أحمد يزيد بن حياني كان يعول 100 طالب على حسابه في محضرته، ولكن زيادة عدد الطلبة يصبح على كل طالب جديد أن يجلب معه بقرة أو بدنة ليساهم

[1] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 40.

[2] محمد المختار ولد أباه: المرجع السابق، ص 31.

[3] حسنة الغامدي-طارق العجال: المرجع السابق، ص 29.

[4] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 60.

بها في قوة المحضرة، ويدخل في هذا النفع المعيشي كثير من الطلبة ال ذين يسمون بـ (المؤبدين)، وهم الطلبة الفقراء الذين لا يملكون ما يقدمونه لضمان معيشتهم طوال مدة الدراسة[1].

فتعود منزلة الطالب من المرابط منزلة الولد من الأب أو أكثر، ولا داعي إلى توضيح أسباب ذلك ولا غرو إذاً والحالة هذه أن يخدم التلميذ الأستاذ كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، وأن يسدي إليه الهدايا عندما تسنح له الفرصة والأستاذ أو المرابط هو الأب والشيخ والمربي والمرشد خلال أيام الدراسة، فهو حنون على تلاميذه عطوف عليهم ويشاطرهم السراء والضراء.[2]

1)صلاحيات الممنوحة لشيخ المحضرة:

أ–الخدمة: ففي غالب المحاضر عند الشناقطة يكون التلاميذ تحت تصرف الشيخ يرعون له ماشيته ويطبخون له الطعام إذا لم يكن عنده إماء للخدمة، ويغسلون له الملابس إلى غير ذلك من أنواع الخدمة الكثيرة، بل إن خدمة الشيخ عندهم مقدمة على خدمة الأهل ومهامه الثانوية تسبق حوائج الأهل الضرورية....[3]

ب–العقاب والتأديب: نشأت المحضرة وتطورت في ظروف لم يكن فيها للتأديب ضرورة، فالناس يقبلون على الدراسة بشغف كبير ويقد رون للعالم جهده ويشكرون له عطاءه ويق دمون كل التضحيات في سبيل الاستفادة منه والأخذ عنه ، وهكذا لم تعرف المحضرة تقاليد متميزة في مجال التأديب ومحاسبة الطلبة، فإذا بلغ "المرابط" أن أحد التلاميذ أساء فإنه يعاتبه برفق بأن لا يل تفت إليه حتى يعلم التلميذ ذلك من حاله لا يوقع عقوبة بدنية ولا مالية، وإنما هو عقاب نفسي هادئ ورزين ولكنه مؤثر.[4]

ويعرف العقاب عند علماء التربية بأنه الوسيلة التربوية التي يهدف منها إلى وقف أو ضبط أو تعديل السلوكيات الغير المرغوب فيها ، ويضيف علماء التربية الإسلامية لهذا الهدف أمرين مهمين أولهما: حماية الآخرين من نتائج الأفعال السيئة التي قد تلحق بهم الضرر، والثاني: التربية الوقائية

[1] حسنة الغامدي، طارق لعجال: المرجع السابق، ص 31.

[2] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 122.

[3] إبراهيم بن أب الحسني الشنقيطي:طريقة حفظ القران الكريم عند الشناقطة(خطة الحفظ المتقن +نظام وجبات يساعد على الحفظ)، ص 75.

[4] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 175.

للأفراد، وذلك لأن من سمع أو شاهد عقاب المخطئ فإنه سيردعه ذلك عن ارتكاب الخطأ حتى لا يتعرض للعقاب مثله [1]، ومن شأن الشيخ إذا نهى إليه ما لا ينبغي عن أحد الطلبة أن يشمله برداء الستر وينتظر التئام الحلقة حوله وفيها المعنى ليسدي نصحا عاما يفهم منه المقصود، وذلك أدب نبوي رفيع[2].

ج–الطاعة: لقد وجبت طاعة الطالب لشيخه عند الشناقطة حيث أن هذه الطاعة لديهم لا تقف عند حد ما لم يأمر بمعصية ، وأسلوب العقاب الذي تقدم يجعل الطالب مطيعاً للشيخ رغم أنفه، فضلا عما يلقى على التلميذ من نصائح تؤكد على أهمية طاعة الشيخ وضرورتها وكلام السلف في ذلك، فيصبح الطالب أمام الشيخ وكأنه آلة حيث قال الغزالي:" ومهما أشار عليه شيخه بطريقة في التعليم فليقلده وليدع رأيه، فخطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه وقد نبه تعالى على ذلك في قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام... هذا مع علو قدر موسى الكليم في الرسالة والعلم، حتى شرط عليه السكوت فقال: فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً[3].

2)علاقة الطلاب فيما بينهم: أما طلاب المحضرة الواحدة فشعورهم بالأخوة أمر جرت به العادة ودرج عليه السلوك وتضامنهم أمر لازم يتجلى في كل مناسبة تدعو إلى ذلك في الأزمات، وضيق ذات اليد وعند الخصومات والمشاكسات م ع غيرهم وتتولد من هذه الأواصر كلها صداقة متينة تمتد عبر الحياة لما انطوت عليه من تقاسم الآلام ومشاطرة المشاعر والأحاسيس وتبنى هذه العلاقات على التعاون في شتى المجالات على العمل الفكري والعمل اليدوي، وبذل المال والإيثار....[4]

وقد ولدت البيئة الصحراوية القاسية وظروفها الصعبة تكافلا اجتماعيا بين أفراد المجتمع الشنقيطي وطلاب المحضرة تجلى في هبات واستحقاقات مادية منها:

–شاة العادة وهي شاة تقدم لطلاب المحضرة عند كل زواج قريب من مكان المحضرة.

–منح ظهر عن كل ذبيحة في الحي[5].

[1] إبراهيم بن أب الحسني الشنقيطي: المرجع السابق، ص 76.

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 176.

[3] إبراهيم بن أب الحسني الشنقيطي: المرجع السابق، ص 83–84.

[4] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 122–123.

[5] حسنة الغامدي ، طارق لعجال: المرجع السابق، ص 32.

-عنق كل نحيرة من الإبل.

-مد من كل ما تأتي به القوافل إلى الحي.

-ثلث ماء البئر أو ربعه إن وردوا.

-إن مر الطلاب على حي به شخصية علمية يمتحنهم أهل الحي في بعض المعضلات اللغوية أو الشرعية واستظهار (أثمان) من القرآن الكريم، وفي حالة التوفيق والنجاح يمدونهم بهبات وهدايا[1].

-ومن المأثور عند المجتمع غفران زلات الطلاب وإعفاؤهم من دفع الأتاوات المترتبة على ذويهم وهذا ما ميزهم على باقي أفراد المجتمع.

ومن هذا فإن المحضرة موطن من مواطن الإنفاق في سبيل الله وقلعة من قلاع التضحية في سبيل الآخرين وللمجتمع غيرة على شرف المحضرة وعلى أستاذها [2]، وخلاصة القول أن المحضرة العلمية والقرآنية هي التي حافظت على مجد وشخصية المجتمع الموريتاني عبر التاريخ بالرغم مما عاناه من تجافي في كل ما له صلة الدين والثقافة الإسلامية وبالنظر إلى العلاقات الاجتماعية السائدة في المحضرة نقوم بتفسير الآثار الإيجابية التي خلفتها على المجتمع من خلال هذه العلاقة الاجتماعية والأسلوب التربوي المتبع فيها.

خلاصة الفصل:

ما نخلص إليه على ضوء كل تلك المعطيات الواردة فيما سبق أن المحضرة كونها مؤسسة تعليمية ناجحة استقت نجاحها من الخطى الثابتة التي مرت بها أثناء تلقينها للعلوم، وبفضل الخصائص التي ميزتها عملت على استقطاب طلاب العلم من جميع طبقات المجتمع.

كما إن المحاضر الموريتانية ارتكز اهتمامها على التعليم الديني على حساب العلوم والمعارف الدنيوية رغم تعددها بناءا على هدفها في ترسيخ العقيدة الإسلامية

[1] يحي جبر: المرجع السابق، ص 108.

[2] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 123.

الفـصــل الثالث

آثــار المحضـرة على المجتمع الموريتـاني

الفصل الثالث: آثار المحضرة على المجتمع الموريتاني

عبر تاريخها الطويل لعبت المحضرة دوراً جوهرياً بل وأساسياً في تشكيل هوية المجتمع الموريتاني والحفاظ على البنى الثقافية فيه وأصوله الإسلامية العربية، ويتجلى ذلك في التطبيع الاجتماعي حيث جعلت عادات وتقاليد هذا الشعب إسلامية صرفة وخاصة في السلوك والملبس والمأكل والمشرب ، مما جعل الموريتانيين هم أكثر المجتمعات التي تغلب فيها صفة البداوية وتلك ظاهرة فريدة وهذا ما جعلها قوة متماسكة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية والمحافظة على شخصية بلادهم.

لكن نظام المحضرة أثبت جديته وفاعليته تربوياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً على مدى قرون عديدة هذا ما دفع بالمجتمع الموريتاني ل لتركيز على ضرورة المحافظة على هذا النظام وتطويره على نحو يجعله قادر على أداء مهامه وفقاً لمتغيرات العصر الحاضر نظراً لما خلفه من أثار إيجابية على المجتمع ، ومن هذا فإن المحضرة أحسنت البذر فأحسنت الحصاد وكان عطاؤها وفيراً حمدته الأجيال وحمده التاريخ، وإذا شئنا أن نوجز هذا العطاء في كلمات قلنا أن المحضرة كونت مجتمعا مسلما عربيا عالما شاعرا مبدعا مجاهدا مؤثرا في محيطه محليا في أقرانه ، وها نحن نستعرض النتائج المختلفة التي تشكل بصمات كبرى تركتها المحضرة في حياة كل الأفراد أو جلهم في بلاد الشنقيط.

المبحث الأول: التأثير الثقافي في المجتمع

المطلب الأول: العلماء ونوادر الحفظ والنبوغ

خرجت المحضرة أجيالا من العلماء والحفاظ الذين كانوا يحملون العلم معهم في الحل والترحال صدورهم خزائن لكل ما طالعوه أو درسوه ، كانوا يستأنسون بقوله تعالى:" وحصل ما في الصدور" وكان شعارهم بيتين طالما تمثلوا بهما ينسبان للامام الشافعي:

علمي معي أينما يممت أحمله *** في باطن الصدر لا في جوف صندوق

أن كنت في البيت كان العلم فيه معي *** أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وكانوا في شأنهم هذا خير خلف لخير سلف فقد قامت الحركة العلمية العربية قديما على حفظ النصوص وروي عن الأقدمين في ذلك حكايات عجيبة [1]، فيعرف الحفظ على أنه ضبط الصور المدركة، وقيل هو تأكد المعقول واستحكامه في العقل وقيل هو التعاهد وقلة العقلة نقيض النسيان، ويقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه التفهم، وتارة لضبط الشيء في النفس، وتارة لاستعمال تلك القوة فيقال حفظت كذا حفظاً ثم استعمل في كل تفقد، وتعهد ورعاية [2]، ومن هذا نجد أن الشناقطة تميزوا بقوة الحفظ وسرعة التعلم ولا شك أن قوة الحفظ عند كل إنسان مهما كان جنسه مرتبطة بالقدرة الكامنة في الدماغ، فإذا عمل هذا الإنسان على تفعيلها وتنشيطها صارت تتمدد، فبحسب التدريب والغاية يكون حفظ الإنسان، وكذلك إذا كان هناك نوع من السباق والتحفيز اندفعت قوة الحفظ أكثر وأكثر، وقد يتدخل العامل الجيني والوراثي فيكون أيضا سببا لقوة الحفظ[3]، كما ساهمت طريقة الشناقطة في الحفظ المتمثلة في تعليم الصغار في سن مبكرة، ووضع الحوافز المادية والمعنوية للحفاظ وفتح المحاضر والكتاتيب لتعليم كتاب الله أولاً ثم كتب اللغة والأصول والحديث وغيرها، فقلما تجد قبيلة إلا وفيها من الحفاظ العدد الكثير[4].

ورغم تميز الشناقطة بقوة حفظهم وعلمهم إلا أنهم عانوا من مشكلة النسيان فحاولوا محاربتها عن طريق:

1-الترك: وذلك أن المادة المحفوظة إذا تركت ولم تراجع لفترة طويلة فإنها تنسى وخاصة إذا كانت مثل القرآن العظيم الذي تقدم تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم له بالإبل المطلقة من عقلها.

2-التداخل: وهو من أسباب النسيان التي يكثر في هذا الزمن ذلك أن الطالب في المدرسة أو في حلقات التحفيظ يكلف بحفظ مواد متنوعة ومختلفة فيحصل تداخل المعلومات في الذاكرة فتتفاعل وينسي أقواها حفظاً أضعفها.

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 229.

[2] إبراهيم أب الحسني الشنقيطي:المرجع السابق، ص 108.

[3] مسعد حسين محمد: المرجع السابق، ص 59.

[4] إبراهيم أب الحسني الشنقيطي: المرجع السابق، ص 84.

3-عدم الراحة والنوم: وهو من أسباب النسيان المهمة فقد أثبتت التجارب أن الراحة أو النوم بعد حفظ مادة ما تؤدي إلى تثبيت الحفظ وتقليل النسيان[1].

من بين أشهر حفاظ الشناقطة:

-أحمد الولي بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الله المحجوب : قاضي ولاتة وإمامها يحفظ مقامات الحريري.

-محمد محمود بن أحمذيه : يحفظ مقامات الحريري والمستطرف وكامل المبرد والوسيط في تراجم أدباء شنقيط وديوان المتنبي وديوان أبي تمام وديوان البحتري هذا في الأدب وحده وخارج المنهج الدراسي التقليدي[2].

-الشيخ سيدي المختار بن الشيخ أحمد بن سليمان : المتوفى سنة 1397 يحفظ الإتقان في علوم القرآن وفتح الباري على صحيح البخاري.

-سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم : قال أن علوم المذاهب الأربعة لو رمى بجميع مراجعها في البحر لتمكنت أنا وتلميذي ألفغ الديماني من إعادتها دون زيادة أو نقص هو يحمل المتون وأنا أمسك الشروح.

-مريم بنت اللاعمة :كانت تحفظ القاموس وقد استوعبته بطريقة غريبة[3].

المطلب الثاني: المؤلفون وتأليفهم

انكب أهل العلم في المحضرة على التدوين والنسخ والتصنيف وكانت المحضرة دار وراقة ومؤسسة نشر ينصرف فيها الطلبة إلى نسخ الكتب إذا هم فرغوا من دروسهم، وللشناقطة أبيات وجمل يرسمونها على الكتاب ترمز إلى ما يلقون في النسخ والتأليف من مشقة وعناء، فمن عادتهم إن لا يكتفوا بالبسملة والحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بل يضيفون إليها الاستعانة والتفاؤل بإحدى الصيغ المألوفة في هذا المقام:

[1] إبراهيم أب الحسني الشنقيطي: المرجع السابق، ص 108.
[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 231.
[3] مسعد حسين محمد: المرجع السابق، ص 67-68.

عونك يا معين *** وبك نستعين

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا *** وأنت تجعل الحزن أن شئت سهلا

رب يسر ولا تعسر *** ياميسر كل عسير

ويا رب عونا والمعان مؤيد *** وما لامرئ أن لم تعنه كفاء

مبارك الابتداء *** ميمون الانتهاء

مبارك الابتداء والانتهاء *** مرجوا النفع به والاهتداء[1]

فبالرغم من انعدام الأسباب التي يجب توفرها للمؤلف من الاستقرار والهدوء والجو المناسب في موريتانيا فقد أدلت طائفة بدلاها في هذا الميدان فألفت في جميع العلوم التي تدرس في المحاضر ، وكان جل مؤلفاتهم يتمثل في أنظام وشرح للمتن التي تتناول اللغة العربية والعلوم الدينية واشتهر كثير منهم بإنشاء المنظومات التعليمية [2]، وكما يصعب التأليف كذلك تصعب صيانة الكتاب وحفظه إذا هو أنجز، والناس في بلاد شنقيط يندبون اليوم ثراتهم الضائع، فقد عصفت بمخطوطات أسلافهم عوامل جمة أبرزها قديما طبيعة الحياة البدوية التي لا تتوفر فيها الظروف المناسبة لصيانة الكتب وأولها الاستقرار، فالكتب في حالة ترحال دائ م يفضي البشر والركاب فلا ينجو منه الكتاب والكتب معرضة، رغم ما تحاط به من عناية للتضرر بمطر غير متوقع أو ريح عاصفة، وربما نفرت الراحلة بمتاع الرجل وفيه كتبه فكان آخر العهد بها[3].

ومن أبرز المؤلفين الشناقطة:

محمد المختار ولد السعد: حاصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة إبريل في تونس العاصمة عام 2000، ألف عدداً من الكتب والدراسات منها: (الإمارات والنظام الأمري الموريتاني، عوائق الإبداع في الثقافة العربية بين الموروث الأسري وتحديات العولمة).

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 234 و 235 و236.

[2] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص 121-122.

[3] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 238.

محمد عبد الحي: حاصل على شهادة الدكتوراه في النقد الآدبي الحديث من جامعة منوبة في تونس العاصمة عام 1996، ألف عدداً من الكتب والدراسات منها (التنظير النقدي والممارسة الإبداعية، الظاهرة اللغوية، التجديد في الأدب الموريتاني الحديث)[1].

أبوبكر بن أحمد بن الشغ المسلمي الـتشيتي: من أهم مؤلفاته تألف منثور في الفقه منه نسخة بمكتبة أهل فاضل الشريف في تشيت وهو من أوائل المؤلفين في موريتانيا عامة توفى يوم الأربعاء 16 رجب 1039 هـ.

أبو بكر بابا بن أحمد الفقاري التشيتي: أخذ عن الشريف حمى الله التشيتي وكان فقيها أديبا مفسرا محدثا أقبل على تحصيل العلم في شبابه وأفنى عمره في تحصيله، من أهم مؤلفاته 1-شرح ألفية حمى الله الحنشي التي ضبط بها الأسماء والأفعال المشتبهة الشكل في المختصر. 2-نظام في ذكر من شهد بدراً من الصحابة[2].

المطلب الثالث: الشعر والشعراء

لقد ترعرع الشعر في رحاب المحضرة وتقبله الناس قبولا حسنا وتعاطوه حفظا ونظما حتى قيل عن بلاد شنقيط أنها "بلاد المليون شاعر" ، ولم يرد الكثير عن نشأة الشعر في هذه البلاد فهناك قرون مظلمة لم نقص بعد بشيء من أسرارها، ومن المرجح أن تكون البلاد قد عرفت فيها شعراً ذا قيمة في أواسط القرن الحادي عشر الهجري [3]، حيث تفجرت نهضة شعرية عارمة لمع من بين قادتها المرموقين سيدي عبد الله بن محمد العلوي بن رازكة، والشيخ محمد اليدالي * والذئب الحسنى وبوفمين المجلسى وآلما العربى وغيرهم فقد كان شعرهم متكامل [4]، فقد وصلنا أن المجتمع الشنقيطي كان مجتمعا من الشعراء لقد كان أبناء الزوايا وطلبة المحاضر عموما يتعاطون الشعر بيسر وبكثرة وبه لا بالنثر كان

[1] محمد المختار ولد السعد ومحمد عبد الحي: تجربة التحول الديمقراطي في موريتانيا، العدد 149، ط2، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2014، ص 104.

[2] يحي بن محمد بن احريمو: المرجع السابق، ص 5-6.

[3] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 251.

*محمد بن سعيد الديماني، يعرف بمحمد اليدالي، أحد العلماء الأعلام، والغطارفة الكراء، ونقدم أنه أحد الأربعة، الذين لم يبلغ مبلغهم أحد في العلم في ذلك القطر. كان مشهور بالفهم والحفظ والصلاح. وله التأليف المشهورة منها: تفسيره الكبير، وسماه "الذهب" وكتاب "شيم الزوايا" وغير ذلك. ينظر احمد بن الأمين الشنقيطي:المصدر السابق،ص223.

[4] محمد المختار ولد اباه: المرجع السابق، ص 37-38.

معظم مساجلاتهم ومراسلاتهم في رحاب المحضرة، وكثير ما يكون سمر المحضرة ندوة شعرية يتبارى فيها الطلبة في رواية الشعر ونظمه وقد يسر لهم الشعر حتى ظنوا أنهم يرضعونه من ثدي الأمهات ، وفي ذلك يقول محمد فال بن عينين:

الطفل يولد فينا كابن ساعدة *** منقحا دررا أصدافها ذهب

انظر إلى مالنا من كل قافية *** لها تذم شذور الزبرج القسب[1]

وقد يكتب بعضهم إلى بعض شعراً فيجيبه الأخر في بحره على مقتضى شعره وقع بين حُرْمَ وشيخه المختار بن بون الجكني، فإن حُرْمَ وعد المختار بإرسال شيء من الزرع فابطأ عليه، فقال المختار:

لك الفصل أن واعدت يا حُرْمَ والفضل *** ولكنما ميقات انجازك الفصل

فزرعك هذا لم يشخص بخارج *** ولم يتعلق فيه كيل ولا أكل

فأجاب حُرْمَ بقوله:

هنيئاً لشيخي قوله في والفعل *** وما نال من عرضي وزرعي له حل

فلاتك عون الدهر يا شيخ إنه *** لا بنائه في مقتضى صرفه شغل

يعوق فتهجو من يعوق يصرفه *** ولو أنه ما شاب أخلاقه بخل

وأني امرؤ عن هفوة الشيخ إن هفا *** صفوح على أني لما قال أهل[2]

والشعر لم يكن يخون من طرف الشاعر نفسه فالقليل من الشعراء من كان يدون شعره بنفسه والأكثر منهم حينما ينتهي من قصيدته ينشدها بين أصدقائه، واعتباراً بقيمتها الفنية يهتم هؤلاء بحفظها أو كتابتها في أوراق منفصلة تلقى في حواشي الكنان يخش، أو تطوى وتعقد في أطراف اللثام،

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 252.

[2] محمد يوسف المقليدي: المرجع السابق، ص 334.

فالثياب في ذلك العهد ليست لها جيوب، وبحسب جودة القصيدة تتناقلها الأذان والأفواه من حين إلى آخر[1].

واعتمد الشعراء الموريتانيين أغراض شعرية مختلفة ومن خلالها انقسم الشعراء إلى:

-شعراء المديح: كان يوجه شعرهم في موريتانيا إلى السادة والشيوخ إذ يشكر الشاعر من يقدم إليه معروفا أو صنيعا مثنيا عليه ومادحا، ويمدح التلاميذ شيوخهم مصورين ما يتحلون به من علم وخلق رفيعين كما يمدح الشيوخ زملائهم[2].

-شعراء الفخر: الفخر فن شعري قديم ت غنى به الشاعر الجاهلي مصورا فيه مثاليته الخلقية من الشجاعة والكرم والنجدة والمروءة وما إلى ذلك من الصفات النبيلة[3].

-شعراء الهجاء: الهجاء فن قديم منذ الجاهلية كانوا يصبونه على خصومهم وخصوم قبائلهم، ولم يكد يسلم منه شريف في الجاهلية لكثرة ما كان بين القبائل من حروب ومنافسات[4].

-شعراء الغزل: ليس في الشعراء الموريتانيين من يعتبر من الغزليين أمثال جميل (بثينة) أو ك ثير (عزة). هذا النوع من الآدب نجده عند شعراء الملحون ، أما شعراء الفصحى فقد اعتادوا أن ينشئوا قطعا قصيرة تعبر عن ذكريات الصبا وعهود الأحبة أو بكاء على الحبيبة.[5]

-شعراء الحكمة: يكاد ينعدم الشعر الفلسفي في الشعر الموريتاني، وليس هذا أمرا يدعو إلى العجب فإننا في مجتمع تشوبه التقاليد الدينية، مشبع بروح الإيمان والتصديق، وهذا لا يعني أننا لا نجد في هذا الشعر أفكارا وتأملات تنذر بسرعة التقلبات والتحول في هذه الحياة الدنيا، وبتأثير دوران الأيام والليالي على الإنسان وبالإشارات إلى حتمية الفناء وعظم من له البقاء[6].

[1] محمد المختار ولد اباه: المرجع السابق، ص 41.
[2] شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 569.
[3] شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 577.
[4] شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 583.
[5] محمد المختار ولد اباه: المرجع السابق، ص 44.
[6] محمد المختار ولد اباه: المرجع السابق، ص 47.

والأغراض الشعرية تعددت لتتعدى المذكورة أعلاه ، وقد نظم الشناقطة في بحور الشعر العربي كلها أو جلها، وتفننوا في زخرفه وبهرجه، فكتبوا القصائد كلها حروف مقطعة، والقصائد تقرأ في بحرين إلى جل البحور أو كلها وكان ذلك لهم أحيانا مجال منافسة كما حدث في مساجلة مديحية المضمون والمقصود بها التعجيز جرت بين بعض الشعراء[1].

المطلب الرابع: الإسهامات التربوية

ليست المحضرة مجرد مدرسة جامعة تلقن فنون المعارف، وإنما هي مدرسة للحياة كذلك تعنى بتكوين الطالب جسميا وعقليا ونفسيا تكوينا متكاملا، فهي تعد شباب الغد لمواجهة الحياة الخشنة، حياة البادية والصحراء القاسية، حتى إذا خرج منها بعد أن تقلب فيها شهورا وسنين انصرف إلى أهله جاهزا لمواجهة كل أعباء الحياة بقوة وجلد كبير [2]، والمحضرة هي رمز الثقافة العربية الإ سلامية فهي المنبع الروحي الأوحد الذي يحترمه العدو والصديق ويهابه السارق واللص والمسا لم والمتجبر والفقيه على حد سواء.

وبفضل التنشئة المحضرية ورواج أطروحات هذه المؤسسات الثقافية امتاز الموريتانيون بالتشبث بقيم دينهم والتمسك بموروثهم الثقافي والاعتزاز بتاريخهم وثقافتهم والاحتفاظ بهويتهم المميزة ، وبهذا كان للمحضرة دور تربوي في تكوين المجتمع الموريتاني [3]، وتثبيت شخصيته وضبط سلوكه وذلك عن طريق بعض الخطابات التربوية التي توجه للطالب المحضري، فالمقصود من الخطاب التربوي الوقوف على مختلف النماذج المعرفية التي تعمل على تهذيب الن اشئ، وتربية الأطفال سواء تعلق الأمر بالترغيب في المذاكرة والحفظ أو اتصل بجذب الطلبة إلى ساحة المعرفة والعلم أو ارتبط بطريقة الإلقاء والدرس أو مال إلى الجدل والحوار والمناقشة والإقناع [4]، والتأديب المحضري لم يكن فقط عن طريق الخطابات التربوية بل كان الشيخ إ ذا بلغه أن أحد التلاميذ أساء فإنه يعاتبه برفق بأن لا يلتفت إليه

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 253.

[2] الخليل النحوي: المرجع نفسه، ص 136.

[3] محمدن أمين محمدو: المرجع السابق، ص 55.

[4] محمدن بن أحمد بن المحبوب: الخطاب التربوي في المحضرة الموريتانية، مجلة الموكب، العدد 12، اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والعلوم والثقافة، يوليو-غشت 1997، ص 8.

حتى يعلم التلميذ ذلك من حاله، وكان العلامة محمد فال بن أحمد فال التندغي يجتمع عنده الطلبة من الزوايا ومن قومه، فإذا بلغه عن أحدهم قولا لا يليق تركهم حتى يجتمعوا عنده فيقول:

وقول ما لا ينبغي لا ينبغي *** لتندغ ولا لغير تندغ

فإذا كان الذي بلغه فعل قال:

وفعل ما لا ينبغي لا ينبغي *** لتندغ ولا لغير تندغ

وهذا النوع من التأديب كان أردع للناس[1].

المبحث الثاني: نتائج المحضرة على المجتمع

المطلب الأول: المساهمة في نشر الإسلام.

كان سكان الصحراء يهوداً أو مجوساً متأثرين في عاداتهم وتقاليدهم بالنصرانية وكان منهم وثنيون أو قوم على غير دين، وبفضل المحضرة انتشر الإسلام وصلب عوده ورسخت جذوره في البلاد وخارجها ولذلك رد لكرتوا "le courtois" إلى المحضرة الفضل في توحيد شعوب من أعراق مختلفة في بلد واحد مبيناً أنها صاحبة الفضل في إسلام الشناقطة أصلا حتى لم يبق منهم فرد واحد خارج ملة الإسلام[2].

وقد ساعد الدرس المحضري وما يتطلبه من متون دينية وما يتحلى به القيمون عليه من أخلاقيات على حفظ وصيانة التراث العربي الإسلامي في هذه الثغور الشنقيطية المرابطة ، ذلك ما يؤكده الدكتور محي الدين صابر حين يقول:" إن الثقافة العربية التي أثرت على المدن التاريخية الموريتانية إلى عهد قريب كفلت للتراث الإسلامي العربي البقاء والاستمرار من خلال المؤسسات التي ينتجها المجتمع الموريتاني سواء في المراكز العلمية المستقرة أو المتنقلة والتي يمثلها نظام المحاضر "[3]، في هذه الصحراء القاحلة شهد الإسلام وثقافته ازدهاراً لم يشهده في أي بلد عربي إسلامي [4]، وإن نجحت

[1] أحمد بن الأمين الشنقيطي: المصدر السابق، ص 519-520.

[2] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 283.

[3] محمدن أمين محمدو: المرجع السابق، ص 56.

[4] محمد بن ناصر العبودي: المرجع السابق، ص 125

المحضرة في بلوغ الهدف الذي ابتغته داخل البلاد، فقد طمحت إلى أن تنقل عطائها وإشعاعها الروحي إلى الخارج، فكان لها أثر كبير في نشر الإسلام في ربوع القارة الإفريقية.

ويتمثل دور المحاضر الشنقيطية في نشر الإسلام في إفريقيا في وصول رجالها إلى مختلف شعوب القارة الإفريقية مبشرين بمبادئ الدين الإسلامي وحاملين مشعل الحضارة الإسلامية، وقد واصلت المحضرة إرسال الأفواج المتتالية من خريجيها الممتازين إلى مختلف الأقطار الإفريقية لنشر مبادئ الإسلام وتأسيس محاضر فرعية[1]، كما كان لعلماء شنقيط ومشايخه في كل العهود القديمة والحديثة دور عظيم وكبير في نقل الإشعاع الإسلامي إلى الشعوب السمراء حتى اليوم ، وكان الأمراء وملوك قرى الأفارقة قديماً وحديثاً الذين يعتنقون الإسلام يتخذون شيوخاً من الشناقطة يعلمونهم أحكام الدين ويقرئونهم القرآن[2]، وفي هذا الصدد فقد بذل رجال المحاضر جهداً متواصلاً ليس في موريتانيا فحسب بل قاموا بالدخول إلى أدغال إفريقيا داعين إلى عقيدة الإسلام وتعاليمه وحاملين مشعل حضارته تحت أهداف إسلامية يمكن إجمالها في ما يلي:

-تعليم الدين الإسلامي عقيدة وشريعة وسلوكاً ومنهجاً مع اختلاف مشاربها الفكرية في المفهوم الصحيح للدين الإسلامي.
-تكوين دعاة قادرين على حمل مسؤولية الدعوة الإسلامية.
-ترسيخ القيم الإسلامية وإرساء أسس الدين وتعهده بالرعاية وصون التراث الإسلامي[3].

هذا وقد جعلت المحضرة من الموريتانيين سفراء لها يجوبون أصقاع إفريقيا الغربية ناشرين عقيدتهم الإسلامية ولغتهم العربية، إذا كان الأمراء الأفارقة الذين يعتنقون الإسلام يتخذون شيوخاً من البيضان يعلمونهم أحكام الدين ويقرئونهم القرآن ويؤمون بهم الصلاة ويبذلون النصح للمسلمين[4].

المطلب الثاني: نشر اللغة العربية

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 284.
[2] مسعد حسين محمد: المرجع السابق، ص 91.
[3] الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين:المرجع السابق،ص93.
[4] محمدن أمين محمدو :المرجع السابق،ص 60.

كانت تسود موريتانيا قديماً لغات زنجية وبربرية (كلام آزناكة آزير)، ولم يكن للعربية حضور ذو شأن، وبعد دخول الإسلام بقرون انقرضت اللغات الصنهاجية البربرية حتى صارت في خبر كان أو كاد، وفسحت اللغات الزنجية في مجلسها فاحتضن أهلها العربية بشغف وإيمان وإن لم يهجروا لهجاتهم[1]، أخذت العربية تغزو موريتانيا مبكرا على ألسنة بني وارث الصنهاجيين منذ أسلموا على يد عقبة بن نافع (50 هـ / 671 م – 55 هـ / 675 م)، وأخذ الإسلام ينتشر بين الصنهاجيين في صحراء موريتانيا لعهد موسى بن نصير (86 هـ /705 م -96 هـ /715 م) وأخذ يتسع انتشاره بين القبائل الصنهاجة الصحراوية في القرون الهجرية الثاني والثالث والرابع ، وكان يعتمد حينئذ على الصلوات الخمس وما يتلى فيها من القرآن، وما يتلوه الشيوخ في المساجد من القرآن الكريم والحديث النبوي[2]، وكان للمحضرة خاصة الفضل الأكبر في تحقيق التعرب الشامل فقد نشرت الفصحى وغرست حبها في النفوس.

لقد كانت اللغة العربية مسرحاً لمنافسة غير معلنة بين " الزوايا" وبني حسان، كان بنو حسان ينشرون الحسانية بحكم سيطرتهم وانتشارهم في أطراف البلاد، ولم تكن لهم مؤسسات يكلون إليها إنجاز هذه المهمة، وإنما تحققت عفو يًبدون تكلف ولا تع لم مع مرور الأيام [3]، مما جعل التعلم في موريتانيا منذ القرن الحادي عشر الهجري وربما قبله عاماً في البلدان والقبائل جميعها، ولعل فيها ذكرنا ما يدل بوضوح على أن التعرب في موريتانيا كان آخذاً في النمو السريع منذ القرن الحادي عشر الهجري بفضل من نزل فيها من قبائل بنو حسان وما بثوا فيها من الاستعداد للتعرب، وبفضل أحباب أهلها على التعلم من خلال التحاقهم بالمحاضر بحيث أصبح فيها كثرة من العلماء في كل علم وكثرة مماثلة من شعراء الفصحى، بل حتى يتخيل إليك كأن الموريتانيين جميعاً كانوا شعراء[4].

ومن هذا فإن تأثير مؤسسة المحضرة لم يقتصر على الموريتانيين، بل امتد ليشمل المناطق المجاورة خاصة في إفريقيا الغربية نظراً لدور الذي اضطلع به الموريتانيون في نشر اللغة العربية والدفاع عنها حيث يقول فهمي هويدي "كان للموريتانيين دور لابد أن يذكر في تعزيز صمود اللغة العربية داخل

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 284.
[2] شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 567.
[3] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 284-285.
[4] شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 569.

السنغال.... وقد ظل هؤلاء الموريتانيون بمثابة الدعامة الأساسية التي قامت عليها مختلف خنادق الدفاع عن اللغة العربية أمام الغزوة الاستعمارية الشرسة"[1].

المطلب الثالث: مساهمة المحضرة في ازدهار العلوم

نجحت المحضرة في تحويل المجتمع البدوي إلى مجتمع متعلم تندر فيه الأمية، ولم يحرم المرأة من حقها في طلب العلم، فقلما نجد في قبائل الزوايا رجل أو امرأة لا تجيد القراءة والكتابة وإن وجد فهو نادر بل حتى العبيد قد أخذوا حظهم من العلم فكانوا يغ نون على الطلب مقامات الحريري [2]، والمحاضر خرجت علماء عديدون نبغوا في مجالات العلوم العربية والإسلامية المختلفة وكانوا على مد التاريخ حملة الإشعاع الثقافي للبلاد[3]، وبهذا استطاعت المحضرة أن تخرج مجتمعاً يتذوق العلم كله ويجله كل فرد منه يأخذ من العلم نصيب، وهكذا كان من حق الشيخ محمد المأمي * أن يفخر بأن بلاده بلاد علم لها بذلك منتهى الشرف:

إن لم يكن شنقيط فيه زمزم *** فلهم في العلم أصل أقدم[4]

ومن أهم أثار المحاضر على المجتمع الموريتاني اختصاص النساء بالتعليم في مرحلة الكتاب ووجود عالمات منهن شاعرات، وهذه الظاهرة ليست غريبة عند من يعرف هذا المجتمع[5].

ولكن نشاط المرأة العلمي (تعليمي وتعلمي) ظل يواجه الصعاب والعقبات وكأن المجتمع لم يكن يرى المرأة أهلية لتعاطي هذه الشؤون الرجالية السامية ، ومع ذلك كانت هناك استثناءات وكان لبلاد شنقيط منها الحظ الوفير فالفتاة تتعلم القرآن كما يتعلمه الطفل وترتقي إلى المحضرة فحينها

---

[1] محمدن أمين محمدو: المرجع السابق، ص 61-62.

[2] حبيبة ميلود – كريمة مقدم: المرجع السابق، ص 27.

[3] محمد الأمين ولد الكتاب: موريتانيا في سطور، نواكشوط، يوليو 2003، ص 10.

* الشيخ محمد المامي بن لبخاري اليعقوبي من أهال باركالله (1206 هـ/1791 م – 1875/1292) عالم كبير، شاعر وصوفي يقال أن مؤلفاته بلغت 400، تكلم في كروية الأرض. ودعا لإقامة الدولة ونصب الإمام وألف "كتاب البادية" بروح اجتهادية عرض فيه لأحكامها وشؤون أهلها. وتميز بعنونة قصائده ذات العبارة الكثيفة والنفس الطويل، منها على سبيل المثال – الجرادة الصفراء والزعفرانية والدلفينية.ينظر الخليل النحوي:المرجع السابق ،ص518.

[4] الخليل النحوي: المرجع نفسه، ص 287.

[5] علي بدوي علي سالمان: المرجع السابق، ص 145

فتتلقى من المعارف ما يتلقى إلا إن غالب شأن النساء أن يصرفن اهتماماً رائداً إلى دراسة السيرة النبوية الشريفة لا يمنعهن ذلك أن يزاحمن الرجال على المعارف الأخرى[1].

وقد وقف المستشرقون على التعليم المحضري من جميع جوانبه سواء تعلق الأمر بالمناهج التربوية المتبعة والكتب المقررة في التدريس أو من حيث المكانة التي يحظى بها في المجتمع، والدور الذي لعبه علماء المحضرة في تحصين المجتمع الشنقيطي[2].

وهكذا استطاعت بلاد شنقيط وقد حمل الرسالة فيها مجتمع من العلماء والعالمات خريجي المحضرة أن تكون بصدق منارة إشعاع فاض منها نور الإسلام ودوحة علم ظلت أفياؤها أقاصي الناس في إفريقيا وغيرها[3].

المطلب الرابع: مقاومة الاستعمار.

وقد عمدت السلطات الاستعمارية إلى فرض حصار ثقافي على البلاد عززته بزرع المدرسة الاستعمارية ووضعها في مواجهة حادة مع المحضرة ، وقد صممت خريطة البلاد ونظمت إدارتها على نحو يكفل تحقيق ما يرمي إليه الحصار الثقافي[4]، إلا أنها واجهت عدة عراقيل والمتمثلة في:

1 معارضة العلماء للتعليم الفرنسي.

2 انتشار المحاضر القرآنية.

3 اعتبار كل التعليم الأجنبي مخالفاً للشرع الإسلامي.

4 شخصية الفرد الموريتاني التي تتميز بطبعتها التقليدية ونزعتها الدينية المتشددة.

5 صعوبة الاستقرار في البلاد وذلك لكثرة كثبانها وأقطارها وصحاريها[5].

---

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 288-289.

[2] دبوها ولد محمد عبد الله: المحضرة الشنقيطية في دفاتر المستشرقين، مجلة دراسات استشراقية، العدد الخامس عشر، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية موريتانيا، صيف 2018، ص 204.

[3] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 290.

[4] الخليل النحوي: المرجع نفسه، ص 339.

[5] سيدي محمد سيدي سوخنا: المرجع السابق، ص 17.

ومع ظهور هذه العراقيل حولت السلطات الاستعمارية فرض رقابة مشددة على العلماء الشناقطة والمشايخ، وفتحت لكل منهم ملف استخبارات وأخضعت جميع تحركاتهم لتصريحات خاصة محدودة الأمد لا تسلم إليها إلا بعد التحري والتحقيق، وكانت الملفات الخاصة تتضمن بيانات مفصلة عن أسفاره والكتب التي بحوزته، وما إذا كان قد حج في السابق أم لا[1].

ومع شعور الأرستقراطيات الدينية وهي المسيرة للمحاضر والمشرفة عليها مبكراً بخطر التوسع الفرنسي المتزايد في حوض نهر السنغال، فاضطلع شيوخ المحاضر وخريجوها من فقهاء وعلماء بدور كبير في التحذير من الخطر المحدق، والدعوة إلى مواجهته بالوسائل المتاحة قبل فوات الأوان [2]، وهذا ما تبناه المجتمع الموريتاني فبالرغم من الجهود التي بذلتها السلطات الاستعمارية والإجراءات التحفيزية من جهة والعقابية من جهة لإجبار الموريتانيين لإرسال أبنائهم إلى المدرسة النظامية بهدف إنجاح السياسة التعليمية الفرنسية، إلا أن الموريتانيين تصدوا لهذه السياسة واعتبروا الالتحاق بالمدرسة الفرنسية والتعليم بها خروج عن الملة الإسلامية، وأعلنوا مقاومة ثقافية واسعة على غرار المقاومة العسكرية، ومن أشكال التصدي للمدرسة الفرنسية عدم التصريح بالولادات وإخفاء أبنائهم على الجبال والمخابئ لإفشال السياسة الاستعمارية في إجبار الأطفال على الالتحاق بالمدرسة الفرنسية[3].

خلاصة الفصل:

من ما ورد في الفصل الثالث يمكنني القول أن المحضرة الموريتانية استطاعت أن تحقق أهدافها من خلال الآثار التي خلفتها على المجتمع الذي ظهر في أوساطه جملة من الشعراء والحفاظ لكتاب الله عز وجل الذين افتقرت إليهم العديد من المجتمعات.

فإن المتتبع للمجتمع الموريتاني يلاحظ ثقافته المتأثرة بالمحاضر على مظهره ولغته، فالموريتانيون يتميزون باللباس الفضفاض الذي نصت عليه الشريعة الإسلامية وفصاحة لسانه.

[1] الخليل النحوي: المرجع السابق، ص 342.

[2] محمدن أمين محمدو: المرجع السابق، ص 57.

[3] حبيبة ميلود –كريمة مقدم: المرجع السابق، ص 57.

خـــاتـــمـــــــة

الخاتمة:

بعد دراستي الموضوع المحاضر وأثارها على المجتمع الموريتاني، الذي حاولت من خلاله إبراز النظام التعليمي المحضري الذي أشرقت به الحياة الثقافية والعلمية في المجتمع الموريتاني، ومن خلال دراستي هذه توصلت إلى جملة من النتائج والمتمثلة فيما يلي:

- أن موريتانيا كان لها موقع استراتيجي هام كهمزة وصل بين شمال إفريقيا وغربها.
- أن المجتمع الموريتاني كان يتميز بالتنوع والتباين في الفئات التي كانت تشكله إلا أن القيادة أشرف عليها فئتان فئة بن حسان وهي الفئة التي تجيد حمل السلاح حيث شكلت القيادة العسكرية للمجتمع وفئة الزوايا وهي التي تهتم بالعلم ونشره.
- أن المحضرة تعد مفخرة الموريتانيين
- التعليم المحضري يعتبر تعليم جماعي حيث كان يضم جميع فئات المجتمع.
- تميزت المحاضر الموريتانية بمناهج انفردت بها عن باقي المؤسسات التعليمية الأخرى والتي كانت تراعي فيها ظروف وطبيعة المجتمع الموريتاني.
- حملت المحاضر الموريتانية المشعل نحو الازدهار العلمي والثقافي من خلال إحداث نهضة علمية.
- انفراد التعليم المحضري بخصائص اجتماعية وتربوية والتي شجعت الموريتانيين في الإقبال عليه.
- إن المحضرة كانت قلعة حصينة لثقافة المجتمع الموريتاني من الغزو الثقافي وقد تجسد ذلك في:
  - دعوة المحضرة إلى مقاطعة المدارس الفرنسية.
  - سعي المحضرة إلى نشر الثقافة الإسلامية العربية في موريتانيا.
  - عزوف الموريتانيين عن تسجيل أبنائهم تجنباً لإجبارهم على دخول المدارس الفرنسية.
  - صمود المحضرة أمام المراكز التعليمية الحديثة.
- ساهمت طبيعة المجتمع الموريتاني وحبهم للعلم على ظهور المحضرة.
- لم يمتنع الموريتانيين عن التعلم رغم الظروف الطبيعية القاسية والترحال الذي تميز به الموريتانيون.
- استمرار أثار المحضرة والبارزة في اللسان الموريتاني الذي حافظ على فصاحته ولا يزال.
- يفتخر مؤسسي المحضرة على أنها تحافظ على أسلوبها في التدريس رغم التكنولوجيا المتاحة.

- استطاعت المحضرة أن تشكل بنية فكرية في أذهان المجتمع الموريتاني كما كانت مقصد للكثير من الطلبة في العالم الإسلامي العربي والأوربي.
- ساهم علماء المحضرة وشيوخها في تسليط الضوء على الثقافة الإسلامية ونشرها.
- رفعت المحضرة اسم البلاد بأعلامها الذين كان لهم حضور متميز على مستوى العالم الإسلامي.
- مثلت المحضرة أداة لمقاومة الأمية وتنمية المعارف وحفظها ونقلها ونشرها عبر ربوع البلاد.
- أن التعليم المحضري نشأ في الحواضر لكنه ازدهر في البوادي أكثر.
- أن المحضرة جعلت من الموريتانيين قوة متماسكة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وإعلاء كلمة الله.

ونلخص في الأخير إلى القول بأن التعليم المحضري ترك أثار كبير في المجتمع الموريتاني، ومن خلال هذه النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع فأنا اقترح جملة من التوصيات والتي تتمثل فيما يلي:

- ووجوب وضع دراسات توضح طريقة التواصل بين الطالب والأستاذ وهي ضرورة ملحة لتحقيق ما تهدف إليه المؤسسات التعليمية عامة.
- ووجوب المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية التي كانت ولا تزال الهدف الذي يسعى الغرب لإزابته داخل المجتمعات العربية الإسلامية.
- ضرورة المحافظة على التعليم التقليدي وذلك لنجاحه في رفع المستوى الثقافي والمعرفي.
- ضرورة المحافظة على البساطة في المؤسسات التعليمية لضمان الإقبال عليها وذلك بتخفيض متطلبات الدراسة.

الملاحـــــق

الملحق رقم 01: صورة لأحد المحاضر الموريتانية

المصدر: /المحظرة/www.essaata.com/2019/07

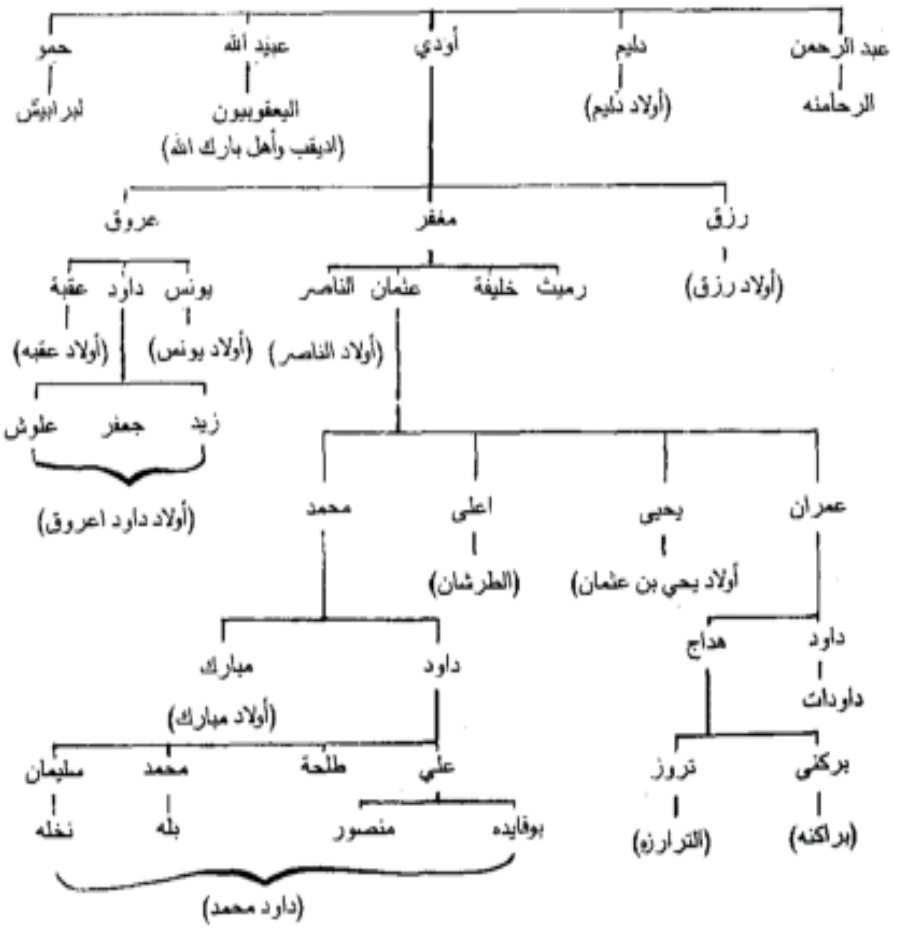

الملحق رقم 02: مخطط يوضح شجرة بني حسان

المصدر: الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 33.

الملحق رقم 03: الجمهورية الإسلامية الموريتانية

المصدر: الخليل النحوي،المرجع السابق، ص 27.

الملحق رقم 04: صورة لإجازة العلامة محمد علي بن نعمة يحمل توقيع أباه

المصدر: الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 181.

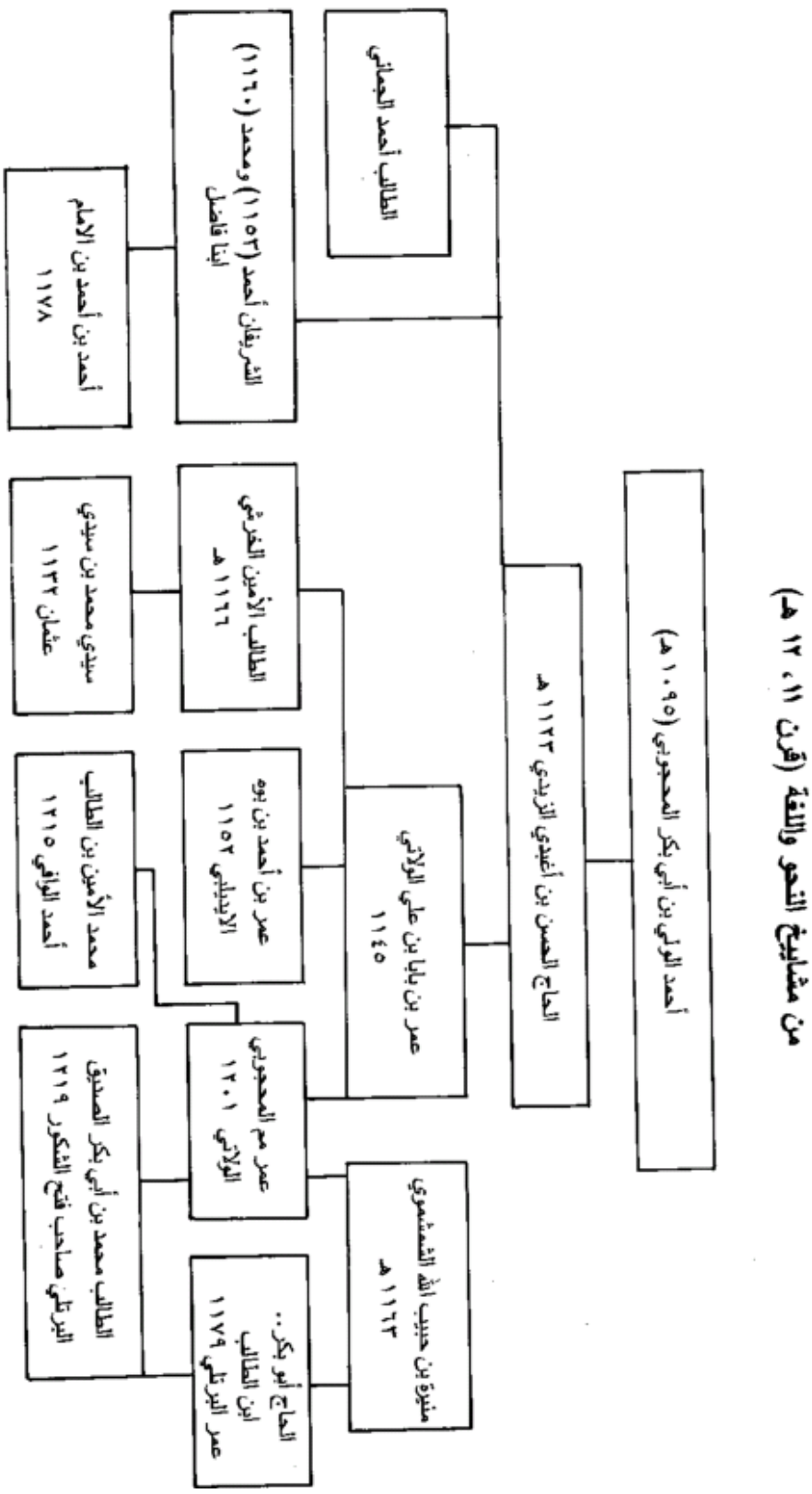

الملحق رقم 05: من مشايخ النحوي واللغة (قرن 11هـ، 12هـ)

المصدر: الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 207.

قائمـــة المصـادر والمراجـع

1/المصادر:

العربية:

1 – البكري أبي عبيد: **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا (المسالك والممالك)**، مكتبة المثنى بغداد.

2 – الزهيري قاسم: **مذكرات دبلوماسي عن العلاقات المغربية الموريتانية** ، تق: التارزي عبد الهادي، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، 1991.

3 – بن الأمين الشنقيطي أحمد: **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، ط4، القاهرة، 1989.

4 – بن محمد المختار الجكني الشنقيطي محمد الأمين: **رحلة الحج إلى بيت الله الحرام** ، إشراف بكر بن عبد الله بوزيد، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، 1326 هـ.

5 – ولد الحامد المختار: **حياة موريتانيا –الجغرافية–**، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1994.

6 – ولد الحامد المختار: **حياة موريتانيا –الثقافة–**، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1994.

7 – ولد الحامد المختار: **حياة موريتانيا حوادث السنين أربع قرون من تاريخ موريتانيا وجوارها** ، تق وتح الدكتور سيديا أحمد سالم.

8 – ولد المصطف محمد عبد الله: **إدارة الثقافة والفنون** ، من أبرز علماء شنقيط (التعريف ب212 عالماً)، ج1 ج2 ج3.

9 – كمرا الشيخ موسى: **تاريخ قبائل البيضان (عرب الصحراء الكبرى)** ، تح: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2009.

10 مصطفى إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق، القاهرة، 2004.

المصادر الأجنبية:

1-Georges coppolani: **Xavier Coppolani Fils de corse, Homme d'Affique Fondateur de la Mauritanie,L'Harmattan**, Paris, 2005, p07.

2/المراجع:

1 – أب الحسني الشنقيطي إبراهيم: **طريقة حفظ القرآن الكريم عند الشناقطة (خطة الحفظ المتقن +نظام وجبات يساعد على الحفظ)**

2 – ابن محنض الحسن: **تاريخ موريتانيا الحديث من دولة الإمام ناصر الدين إلى مقدم الاستعمار (1055هـ–1322هـ/1645م–1905م)**، ط1، دار الفكر، أنواكشط، 2016.

3 – الدكتور دخل الله أيوب: **التربية المستمرة وتعليم الكبار** ، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 2017.

4 – الدكتور مصطفى البكري الطيب الشيخ الهادي: **دور قوافل الحجاج في نشر المذهب المالكي في إفريقيا**.

5 – النحوي الخليل: **بلاد شنقيط المنارة والرباط –عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)** ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.

6 – الضيف شوقي: **تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والأمارات، الجزائر –المغرب الأقصى –موريتانيا –السودان)**، ج10، ط1، دار المعارف، القاهرة.

7 – بن الحسين الطيب بن عمر: **السلفية وأعلامها في موريتانيا –شنقيط–**، دار بن حزم، بيروت، ط1، 1995.

8 – بن محنض الحسين: **تاريخ موريتانيا الحديث (من دولة الإمام ناصر الدين إلى مقدم الاستعمار 1055هـ/1322هـ–1645م/1905م)**، ط 1، دار الفكر، أنواكشوط، 2010م.

9 – بن ناصر العبودي محمد: **إطلالة على موريتانيا**، دار المريخ للنشر، الرياض، 1998.

10 –دي شاسه فرانسيس: **موريتانيا من سنة 1900 إلى سنة 1975**، تر الدكتور محمد بن بوعليبة بن الغراب، دار النشر جسور.

11 –ولد أباه محمد المختار: **الشعر والشعراء في موريتانيا**، الرباط، دار الأمان، ط2، 2003.

12 -ولد السالم حماه الله: **تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا)** ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2010.

13 -ولد السعد المختار وعبد الحي محمد: **تجربة التحول الديمقراطي في موريتانيا السياق – الوقائع– آفاق المستقبل**، مركز للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، 2014، ط2.

14 -محمد مسعد حسين: **وقفات على بلاد شنقيط** ، تق: أحمد المرابط الشنقيطي –محمد عيسى الشنقيطي –عمر الحدوشي المغربي –محمد الأمين الشنقيطي –لارباس بن المرابط الشنقيطي – يوسف الصلاحي اليمني، ط 2، دار العلمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1440هـ/2019م.

15 -مقلد محمد يوسف: **موريتانيا الحديثة (غابرها –حاضرها) أو العرب البيض في إفريقيا السوداء**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1960.

3/الرسائل:

1 - الطالب مبروكة –مولاي شهرزاد: **جوانب من الحياة الاجتماعية في موريتانيا خلال الفترة الاستعمارية 1903–1960م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، إشراف الدكتور أحمد بوسعيد، قسم العلوم الإنسانية، شعبة تاريخ، جامعة أحمد دراية أدرار، 2018-2019.

2 - بن الحسين الناني: **صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، الدكتور محمد حجي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1999.

3 - يحي بن محمد بن احريمو: **معجم المؤلفين في ولايتي العصابة وتكانت**، مذكرة لنيل شهادة المتريز في العلوم الشرعية، إشراف محمد الأمين بن أحمد طالب، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، 2004-2005.

4 - ميلود حبيبة –مقدم كريمة: **السياسة التعليمية الفرنسية في موريتانيا 1903–1960**، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ (تاريخ المغرب العربي المعاصر)، جامعة أحمد دراية أدرار، 2018-2019.

5 – سيدي سوخنا سيدي محمد: **مركز تكوين العلماء بموريتانيا وإسهاماته في المجتمع الموريتاني**، مذكرة لنيل درجة الماجستير في أصول التربية، إشراف سعيد الخليفة محمد عثمان، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي والنشر، كلية التربية، قسم أصول التربية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 2019م-1440هـ.

6 – عباس عفاف: **الاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903–1960)**، مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر، إشراف شهرزاد شلبي، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015.

7 – علي بدوي علي سالمان: **الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903–1960)**، مذكرة ماجستير في الدراسات الإفريقية، قسم التاريخ (التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة القاهرة، مصر، 2003.

4/الدوريات والمجلات:

1 – الأمم المتحدة: اللجنة الاقتصادية لإفريقيا (2016)، **موريتانيا: موجز قطري**، أديس أبابا.

2 – الغامدي حسنة وطارق العجال: **التعليم الديني البدوي في صحراء شنقيط**، دراسة في التاريخ والمناهج، مجلة المعارف والدراسات التاريخية، العدد 5، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، ماي 2016.

3 – أمين محمدو محمدن: **المحاظر الموريتانية مؤسسات لنقل المعارف**، مركز الدراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2016.

4 – بن أحمد بن المحبوب محمد: اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والعلوم والثقافة، **الخطاب التربوي في المحضرة الموريتانية**، مجلة الموكب، العدد 12، يوليو-غشت 1997.

5 – بن عبد الرحمان الفوزان الفوزان: **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي**، مج 11، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1999.

6 – جبر يحي: **هل تعتمد المحضرة نمطاً؟ (وجهة نظر وخلاصة تجربة استغرقت 45 عاماً)**، رؤى تربوية، العدد الثالث والعشرون، جامعة النجاح الوطنية.

7 – ولد الكتاب محمد الأمين: **موريتانيا في سطور**، نواكشوط، يوليو 2003.

8 – ولد محمد عبد الله دبوها: **المحظرة الشنقيطية في دفاتر المستشرقين**، مجلة دراسات استشراقية، العدد الخامس عشر، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية موريتانيا، صيف 2018م.

5/ المواقع الالكترونية:

1 – ولايةأدرار (موريتانيا)https://ar.m.wikipedia.orj/wiki

2 – www.essaata.com/2019/07/المحظرة/

الـــفـــهـــارس

الاسم	الصفحة
أبو بكر بابا بن أحمد الفقاري التشيتي	57
أبو بكر بن أحمد بن الشع المسلمي التشيتي	57
أبو محمد بن حامد الكاتب	9
أبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي	27
ابن أبي زيد القيرواني	46
ابن الجبيري	25
ابن الجزري	45-38
ابن الونان	47
ابن بري	45
ابن كثير	45
ابن مالك	47
ابن عاشر	46-38-37
ابن خلدون	13
أدياقب	28
أحمد البدوي الشنقيطي	47
أحمد الوالي بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الله المحجوب	55

أحمد المقري	46
أحمد بن الأمين	8
أحمد يزيد بن حياني	48
الإمام الشافعي	53
الإمام الغزالي	50
الإمام نافع	37
البصيري	46
الحاج يعقوب القرشي	28
الحاج علي بن محمد الصنهاجي	28
الحاج عثمان الأنصاري	28-27
الحسن البصري	28
الحسن اليوسي	28
الحسن بن اغبد	28
الطبري	45
آلما لعربي	57
المعري	47
المختار بن بون الجكني	58
المختار بن بونه	46-31

المختار بن حامد	45-23
السيوطي	47
ألفغ الديماني	55
القاضي عياض السبتي	27
الشيخ محمد المأمي	64
الشيخ محمد بن اليدالي	57
الشيخ محمد بن حنبل	42
الشيخ سيدي المختار بن أشيخ أحمد بن سليمان	55
الشيخ عبد الله بن ياسين	27-23
الشنفري	47
الشريف الإدريسي عبد المؤمن بن صالح	27
الشريف حمى الله التشيتي	57
الخزرجي	47
الخليل النحوي	23
الذئب الحسني	57
أنبوجه	28
بوفمين المجلس	57
بن الباري	38

بن الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت	29
بن عاصم	46
ورش	37
زروق	46
حماه الله	28
حرم	59
كابولاني (Coppolani)	8
كعب بن زهير	47
لكرتوا (Le courtois)	62
موسى بن ناصر	63
محي الدين صابر	62
محمد الأمين الشنقيطي	26
محمد الحسن بن محمد عبد الجليل	43
محمد المختار ولد السعد	56
محمد بن التلاميذ التركزي الشنقيطي	25
محمد بن بيه	15
محمد بن حامد	43
محمد بن محمد سالم	46

محمد بن عبد الله بن الحاج إبراهيم	55
محمد يوسف مقلد	7
محمد مبارك اللمتوني	45
محمد مولود بن أحمد فال الشنقيطي	46
محمد محمود بن أحمذيه	55
محمد سالم بن الأمين	43
محمد عبد الحي	57
محمد فال بن أحمد فال التندغي	60
محمد فال بن متالي	46-18
محمد فال بن عينين	58
مريم بنت اللاعمة	55
سيدنا الخضر	50
سيدنا موسى	50
عبد الله الشنقيطي	45
عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي	46-8
عبد الله بن محمد بن القاضي العلوي	57-19
عبد العزيز (اللمطي)	46
عبيد ربه الشنقيطي	47

عقبة بن نافع	63
فاضل الشريف	57
فهمي هويدي	63
فرنسيس دو شاسه (Francis de Chassey)	23
صلاح الدين الأيوبي	25
قالون	37
قطرب	47
تاج الدين عبد الوهاب السبكي	46
خليل بن إسحاق	46
غيلان ذي الرمة	47

الاسم	الصفحة
إدوعلي	29
أيدو الحاج	28
الأمصار	16-8
الأقلال	29
الأتباع	16
البيضان	62-14-8-7
البراكنة	7
البربر	18-7
الزوايا	64-63-60-57-38-36-33-20-19-18-17-16-15-14-13-6
الزناكة	7
الزفانون (المغنون –الشعراء)	18
اللحمة	17-14
المحاجيب	29
الملثمين	10-9
المغافرة	9
العتقاء (الحراطين)	17

الصيادون	17
الصناع (المعلمون)	18-17
الصنهاجيون	63-23-21-18-16-14-10-9
التوارق	18
الترارزة	7
بني حسان	63-33-21-18-17-16-14-13-9-7-6
بني معقل	13
عرب	18-15-14
قبائل المرابطين	16

المكان	الصفحة
أدرار	11-9
أزواد	24-12
أزوكي	27
أطار	27-11
الأندلس	6
البلاد المقدسة	19
الجزائر	24-10-6
الكبلة	45
المحيط الأطلسي	24-10
المغرب	46-24-10-6
الساقية الحمراء	11
السودان	18-12
السنغال	63-42-9
العيون	11
الصحراء الغربية	10
القاهرة	25

الشام	10
إفريقيا	65-63-62
أروان	12
بوليميت	11
بلاد المغافرة	9
بلاد المغرب العربي	10
بلاد التكرور	9-7
دولة المرابطين	23-10-6
ودان	28
ولاتة	55-29-11-9
كيفة	11
مالي	10-9
مدن الثغور	30
موريتانيا	16-14-13-12-11-9-8-7-6- 36-27-26-25-23-21-20-19- 64-63-59-57-56
مكناس	36
مصر	10

مراكش	27
نهر النيجر	9
نهر السنغال	66-24-23-12-9
نواديبو	11
نواكشط	27-11
فاس	36
صحراء الملثمين	23-9-7
شمال إفريقيا	23-6
شنقيط	43-35-33-29-27-24-20-16-15-14-13-10-9-8-7-6
تجيكجة	11
توسى	57-56
تيشيت	57-27
تنبكتو	29
تراب البيضان	9-7
غرب إفريقيا	63-21-6

المحتوى	الصفحة
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ – ج
الفصل الأول: جغرافية موريتانيا وسياق تشكلها التاريخي	
المبحث الأول: الخصائص الجغرافية والتضاريسية	6
المطلب الأول: أصل التسمية	6
المطلب الثاني: التحديد الجغرافي والفلكي لموريتانيا	10
المطلب الثالث: خصائص المناخ و التضاريس	12
المبحث الثاني: السياق التاريخي لتشكل المجتمع الموريتاني	13
المطلب الأول: تاريخ المجتمع الموريتاني	13
المطلب الثاني: تركيبة الجتتمع الموريتاني	15
المطلب الثالث: العناية بالعلم و التعليم	18
الفصل الثاني: سياق تشكل المحضرة في موريتانيا	
المبحث الأول: المحاضر في الإسلام	24
المطلب الأول: التسمية	24
المطلب الثاني:خصائص المحضرة الموريتانية	27

المطلب الثالث: أنواع المحاضر	33
المبحث الثاني: نظام التدريس في المحضرة الموريتانية	36
المطلب الأول : مراحل الدرس	36
المطلب الثاني: المناهج الدراسية في المحضرة	45
المطلب الثالث: النظام الاجتماعي داخل المحضرة	48
الفصل الثالث: آثار المحضرة على المجتمع الموريتاني	
المبحث الأول: التأثير الثقافي في المجتمع	53
المطلب الأول :العلماء ونوادر الحفظ والنبوغ	53
المطلب الثاني: المؤلفون وتأليفهم	55
المطلب الثالث: الشعر والشعراء	57
المطلب الرابع: الإسهامات التربوية	60
المبحث الثاني: نتائج المحضرة على المجتمع	61
المطلب الأول: المساهمة في نشر السلام	61
المطلب الثاني: نشر اللغة العربية	62
المطلب الثالث: مساهمة المحضرة في ازدهار العلوم	64
المطلب الرابع: مقاومة الاستعمار	65
خاتمة	68
الملاحق	71

قائمة المصادر والمراجع	77
فهرس الأعلام	83
فهرس القبائل	89
فهرس الأماكن	91
فهرس الموضوعات	94
الملخص	/

ملخص:

شكلت موريتانيا جسراً ربط بين شمال إفريقيا وغربها والناظر إلى موريتانيا يجد أن موقعها الجغرافي مناسباً لخلق شعب مزيج بين الأفارقة السود في جنوب القارة والشعوب البيضاء في الشمال، ويرجع الفضل في الحفاظ على الهوية الثقافية الموريتانية رغم اختلاف التركيبة السكانية إلى المحضرة التي قاومت الثقافة الغربية الدخيلة.

مثلت المحاضر في بلاد شنقيط (موريتانيا) جزء حيوياً من الهوية الإسلامية والتاريخية والثقافية للمجتمع، وكانت وعاءاً حافظاً لعلوم الشريعة الإسلامية والثقافة العربية في ربوع الصحراء، وقد جعلت من هذا البلد منارة يهتدي بها ونبراس يستضاء به، فلم يوجد لها مثيل في شمال إفريقيا ولا غربها حيث عرفت موريتانيا أو شنقيط عبر العصور بعلمائها الذين تلقوا تعليمهم عبر هذا النظام التعليمي المحضري.

على مدى العصور حافظت المحضرة الموريتانية على خصوصياتها التي ميزت نظام التعليم في البلاد، وحققت ماحققته أهم المدارس والجامعات الإسلامية لتكون بذلك مركزاً للإشعاع الثقافي والحياة العلمية ومنارة لنشر الإسلام واللغة العربية في غرب إفريقيا.

Résumé:

La Mauritanie a formé un pont entre l'Afrique du Nord et l'Afrique de l'Ouest, et le spectateur de la Mauritanie trouve que sa situation géographique est appropriée pour créer un mélange entre les Africains noirs dans le sud du continent et les peuples blancs dans le nord, et grâce à la préservation de l'identité culturelle mauritanienne malgré la démographie différente, le conférencier qui a résisté à la culture occidentale exotique.

Le conférencier dans le pays de Chinguetti (Mauritanie) représentait une partie vitale de l'identité islamique, historique et culturelle de la société, et c'était un vaisseau qui préservait les sciences du droit islamique et de la culture arabe dans la banlieue du désert, et il a fait de ce pays un phare d'orientation et une lumière sur laquelle se laisser guider, car il n'y avait pas d'équivalent en Afrique du Nord ou en Occident. Comme la Mauritanie, ou Chinguetti, a été connue à travers les âges par ses savants qui ont été éduqués grâce à ce système éducatif modernisé.

À travers les âges, le conférencier mauritanien a maintenu ses particularités qui caractérisaient le système éducatif dans le pays, et les écoles et universités islamiques les plus importantes ont réussi son accomplissement, pour être ainsi un centre de rayonnement culturel et de vie scientifique et un phare pour la diffusion de l'islam et de la langue arabe en Afrique de l'Ouest.